وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي- الأغواط-

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والحضارة

قسم: العلوم الإسلامية

الشعبة: اللغة العربية والحضارة الإسلامية

إعداد الدكتور: محمد عيشوبة

السنة الجامعية 2022/2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

مقدمة:

الحمد لله حمدا يوجب رضاه ونعيمه، والشكر له يوجب سبغ نعمه ومزيده، تفرّد بالكمال، وتنعّت بالجمال، وأصلّي وأسلّم على رسولنا الكريم، العارف قدر ربّه، والمعرفّ العباد شرعة مرسله، وعلى صحابته الأبرار، سرج الدجى، ونجوم الهدى ، وعلى المقتفين آثارهم بإحسان إلى يوم الدين، أمّا بعد:

فإنّ العلوم لها من مزية المكتسب، بشرف المنتسب، وعلوم القرآن حقّقت هذه الثمرة بتحقيق المقصود من الكتاب، فهما وتدبّرا، بعلوم كثيرة ، بذلت العلماء الوسع في إفرادها بالتأليف من مرحلة الزهر إلى مرحلة الثمر، من عصر التنزيل إلى يومنا هذا، رواية ودراية، تحريرا وتحقيقا وتنقيحا، والناظر في تاريخ العلوم الشرعية يدرك الفرق بين العالم الجمّاعة، والعالم المتخصّص، وواقعنا اليوم في ميدان العلمي الأكاديمي في ميدان العلوم الشرعية يتخصص فيه طالب الشريعة في تخصص معيّن، يدرك به مبادئ الفنّ، ثم يصل إلى مرحلة التعمّق، وحريّ بطلاب الدراسات القرآنية أن يقفوا مع مقياس علوم القرآن في هذه المرحلة، وقفة محقّق ومدقّق في علومها المختلفة، فيميّزوا بينها، وذلك بمعرفة مقصود كلّ علم ، فيحققوا منه الثمرة، وينظروا في تراث الأمة الإسلامية ويقفوا على المراحل العمرية لعلوم القرآن، وما تميّزت به كلّ مرحلة، كما يجب عليهم أن يكونوا على بصيرة من أمرهم فيما يستجد اليوم من دراسات في حقل الدراسات القرآنية عموما، من دراسات إسلامية أو حداثية، فيميزوا بين نافعها وضارها، فيحصنوا أنفسهم عمّا هو بعيد عن تراثنا الفكري الصحيح.

وبهذا انتظمت الإشكالية الرئيسة المعالجة في هذا المقياس كالتالي :

ما هي أهمّ الثمرات المرجوّة من مواضيع علوم القرآن في مرحلة التعمّق؟ ثمّ كيف يوظف الطالب ذلك في جهوده البحثية في الدراسات القرآنية قديما وحديثا جمعا بين الثابت والمتغيّر المستجدّ؟

ثانيا/ أسبـــاب الاختيار والأهمية.

ولا شكّ أنّ البحث والتأليف في أيّ موضوع يرجع لأسباب حرّكت العقل والقلم للتحرير فيه، ومقياس علوم القرآن الذي اخترت العمل عليه يرجع لدوافع ذاتية وأخرى علمية من بينها:

أ/ الدوافع الذاتية

- ✓ أنّ المقياس هو ضمن تخصّصي في الدراسات القرآنية.
- ✓ أنّ علوم القرآن هي من ضمن أولوياتي في التوسّع البحثي، وهذا يدفع بي إلى توسيع دائرة البحث، وعليه يمكنني تقديم الإضافة الممكنة جمعا بين القدرات البحثية ومستوى الطالب في هذه المرحلة.

ب/ الدوافع العلمية:

- التعمّق في مواضيع علوم القرآن، تجديدا بماضي الأمة وتراثها الفكري، ونظرا في مستجدات هذه المواضيع من بحث، وإعادة فهم، وإضافات في عصرنا الحاضر من قبل الباحثين.
- النّظر في ما تعرض له مواضيع علوم القرآن من نظرات وقراءات حداثية تحت غطاء التجديد، فنسعى من منطلق الوسطية العلمية، أن نردّ الفرع لأصله، نظرا في الثوابت وأخذا بالمتغيّرات.

ثالثا– الأهـــــداف: الحكم على نجاح أي بحث علمي، يتوقّف على تحقيق أهدافه المقصودة، ولذا مقياس علوم القرآن بمواضيعه المبحوث فيها يهدف إلى تحقيق مايلي:

- الوصول بالطالب إلى مرحلة بحثية في مقياس علوم القرآن تمكّنه من التمييز بين العلوم المختلفة التي تخدم القرآن الكريم، وكيفية توظيفها في ميدان الدّراسات القرآنية، من باب تكامل العلوم الشرعية.
- تمكين الطالب من استخدام منهجية سليمة في البحث في هذا المقياس تجمع بين جهود السابقين، والمؤلفات الحديثة، من التأصيل إلى التفريع.

- جمع الطالب بين منهجين، بين منهج التحصيل والتحصين، تحصيل علمي معمّق في المقياس في هذه المرحلة، وتحصين فكري منهجي حول ما يحدث من تيارات حداثية تحاول النزع بالعلوم الشرعية عن مقصودها بدعاوى مختلفة باطلة.

رابعا: المنهج المتّبع:

اقتضت طبيعة المواضيع المختلفة المبحوث فيها في هذه المرحلة العلمية، وبحسب الأهداف التي نسعى لتحقيقها، توظيف عدّة مناهج بحثية، تنوّعت بين مناهج معتمدة رئيسة وأخرى فرعية أهمّها:منهج التحليل والاستنباط، مستعينا بمنهج الاستقراء في كلّ المواضيع، إذ مواضيع مقياس علوم القرآن تجعل الباحث يستقرئ مجموعة من الكتب في التخصّص قديما وحديثا، فيجمع أهمّ الآراء العلمية المختلفة، وينظر فيها بمنهج التحليل، ليصل إلى مرحلة تقصيد الأقوال، وبناء الأحكام، وهو ما يسمى بمنهج الاستنباط، لتقدّم المادّة العلمية محرّرة منقّحة، تقرّب المقصود للطالب.

وكانت المنهجية المتّبعة في هذا المقياس، اعتمادنا على طريقة التدرّج في الطرح والشرح، ليتمكّن الطالب من فهم واستيعاب المواضيع المبحوث فيها، مرتكزا على طريقة البناء المعرفي بنفسه، ينتقل فيها من العام للخاص، ومن التحليل إلى التركيب، والعكس، ليسهل عليه فيما بعد التعامل مع مختلف المواضيع المقدمة للبحث فيها في هذا المقياس.

ونسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص في العمل، وهذا عمل يعتريه ما يعتري البشر، وأعتذر إلى قارئه بما اعتذر به عبد الرحيم البيساني، إلى العماد الأصفهاني عن كلام استدركه عليه:" وذلك أنّي رأيت أنّه لا يكتب إنسان كتابه في يومه، إلّا قال في غده: لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد لكان يستحسن، ولو قدّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النّقص على جلة البشر **(الحاجي خليفة– كشف الظنون– ج1– ص:14)**

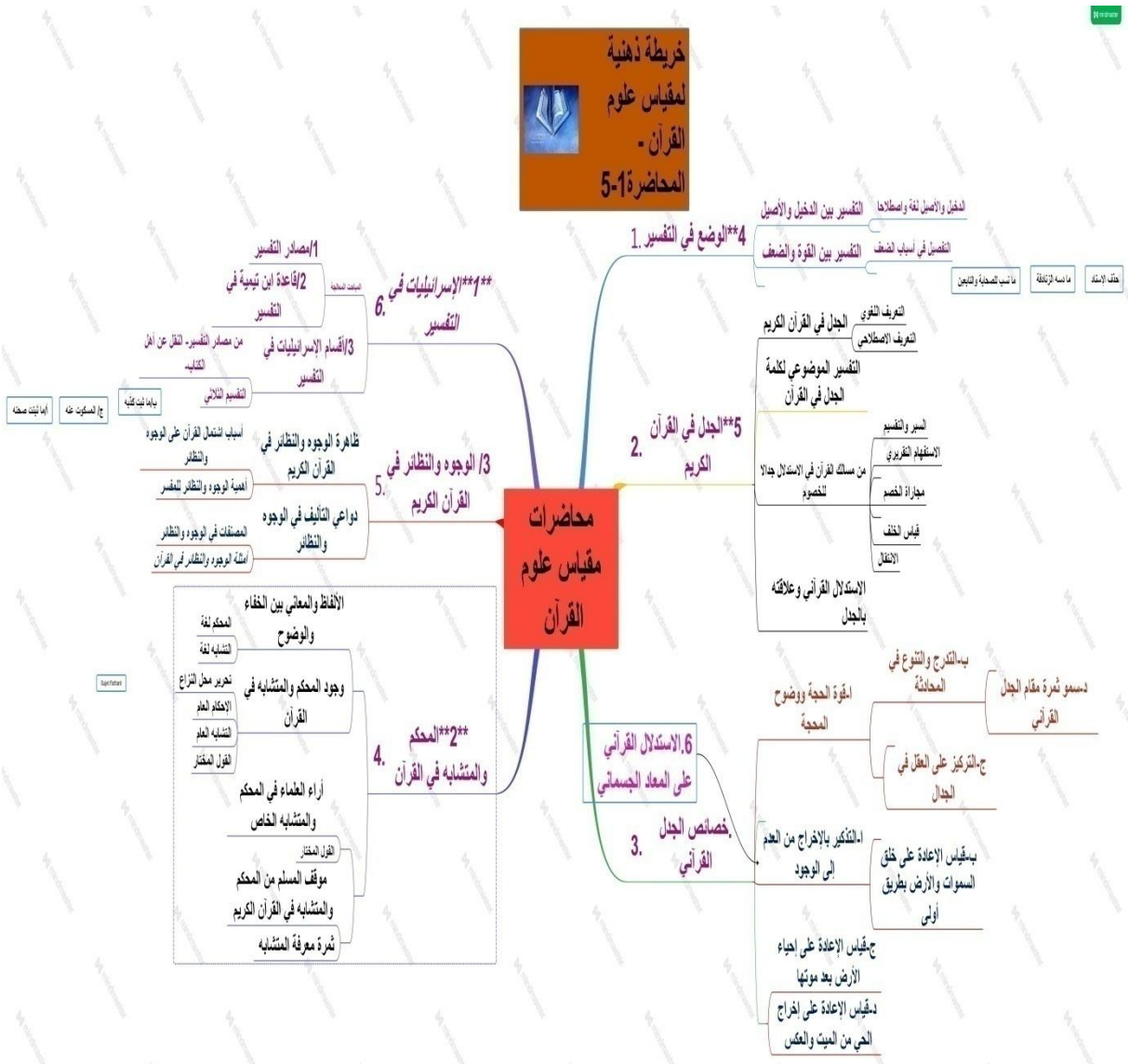
خريطة ذهنية لمقياس علوم القرآن - المحاضرة1-5
محاضرات مقياس علوم القرآن
1. 4**الوضع في التفسير
التفسير بين الدخيل والأصيل
الدخيل والاصيل لغة واصطلاحا
التفسير بين القوة والضعف
التفسير في أسباب الضعف
حذف الاسناد
ما سببه الزندقة
ما سبب للصحابة والتابعين
2. 5**الجدل في القرآن الكريم
الجدل في القرآن الكريم
التعريف اللغوي
التعريف الاصطلاحي
التفسير الموضوعي لكلمة الجدل في القرآن
من مسالك القرآن في الاستدلال جدالا للخصوم
السبر والتقسيم
الاستفهام التقريري
مجاراة الخصم
قياس الخلف
الانتقال
الاستدلال القرآني وعلاقته بالجدل
3. خصائص الجدل القرآني
6.الاستدلال القرآني على المعاد الجسماني
ا-التذكير بالإخراج من العدم إلى الوجود
ب-قياس الإعادة على خلق السموات والأرض بطريق أولى
ج-قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها
د-قياس الإعادة على إخراج الحي من الميت والعكس
ا-قوة الحجة ووضوح المحجة
ب-التدرج والتنوع في المحاذاة
د-سمو ثمرة مقام الجدل القرآني
ج-التركيز على العقل في الجدال
4. 2**المحكم والمتشابه في القرآن
الألفاظ والمعاني بين الخفاء والوضوح
وجود المحكم والمتشابه في القرآن
المحكم لغة
المتشابه لغة
تحرير محل النزاع
الإحكام العام
المتشابه العام
القول المختار
آراء العلماء في المحكم والمتشابه الخاص
القول المختار
موقف المسلم من المحكم والمتشابه في القرآن الكريم
ثمرة معرفة المتشابه
5. 3/ الوجوه والنظائر في القرآن الكريم
ظاهرة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم
أسباب استعمال القرآن على الوجوه والنظائر
أهمية الوجوه والنظائر للمفسر
دواعي التأليف في الوجوه والنظائر
المصنفات في الوجوه والنظائر
أمثلة الوجوه والنظائر في القرآن
6. 1**الإسرائيليات في التفسير
1/مصادر التفسير
2/قاعدة ابن تيمية في التفسير
3/أقسام الإسرائيليات في التفسير
من مصادر التفسير- النقل عن أهل الكتاب-
التقسيم الثلاثي
ما لم تثبت كذبه
إما ثبت صحته
ج/ المسكوت عنه

البرنامج المفصّل لمادة علوم القرآن

السداسي: الخامس

وحدة التعليم : الأساسية

المادة : علوم القرآن

الرصيد: 04

المعامل: 02

أهداف التعليم تعميق ـ تمكين الطالب من الاطلاع على أهم العلوم الأساسية المتعلقة بالقرآن الكريم وعلومه.
المعارف المسبقة المطلوبة المعارف التي تتعلق بالقرآن الكريم كأسباب النزول ، والإعجاز والتفسير ، المكي والمدني ، الناسخ والمنسوخ ومعرفة كتب التفسير وكيفية استخدامها .

محتوى المادة:

01 - الإسرائيليات في التفسير.
02 - محكم القرآن و متشابهه .
03 - ترجمة القرآن الكريم و حكمه .
04 - علم الوجوه و النظائر في القرآن الكريم .
05 - القصة في القرآن الكريم .
06 - شكل المصحف و اعجامه و رسمه .
07 - قواعد الترجيح عند المفسرين .
08 - الوضع في التفسير .
09 - طبقات المفسرين .
10 - الأمثال في القرآن الكريم .
11 - الجدل في القرآن الكريم .
12- القسم في القرآن الكريم .
13 - علم غريب القرآن الكريم.
14- الأسماء و الكنى و الألقاب في القرآن الكريم.

طريقة التقييم: **مراقبة مستمرة 50 % + الامتحان 50 %**

المراجع: (*كتب ومطبوعات ، مواقع انترنت*، إلخ)

01 - البرهان في علوم القرآن، للزركشي.
02 - الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي.
03 - مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني.
04 - مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان.
05 - مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح.
06 - لمحات في علوم القرآن، لمحمد الصباغ.
07 - علوم القرآن، لعدنان زرزور.
08 - الوجيز في علوم القرآن، لمنصور كافي.

المحاضرة الأولى: الإسرائيليات في التفسير-

تعدّدت المصنّفات في التفسير بين القديم والحديث، والغرض منها، هو إبراز معاني كتاب الله تعالى والوصول إلى مراده من خلقه، ولذا نحا المفسرون مناحي شتّى من خلال هذه المصنّفات، فبرزت اتّجاهات في التفسير بحسب ما أبدع فيه صاحبه، وهو السبب الداعي إلى تصنيف المتأخّرين لكتب التفسير ومناهج المفسرين وَفق اتجاهات المفسرين، سواء أصرّحوا بذلك في مقدّمات تفاسيرهم أم لم يصرّحوا ، فكان الأمر بالتتبع في ثنايا هذه التفاسير.

والمتأمّل لكتب التفسير يدرك الأصول والقواعد التي بنى عليها المفسرون تفسيرهم لكتاب الله، والمصادر التي استقوا منها، تأصيلا، وتفريعا، ومن هذه المصادر التي اضطربت فيها الأقوال، الإسرائيليات، أي: الأخذ عن بني إسرائيل في بيان معنى الآيات، أو التعضيد بها، فتجد المفسرين منهم المقلّ ، ومنهم المكثر، ومنهم المعرض، وهذا راجع إلى أحاديث وردت عن رسول الله، تعتبر القول الفصل في المسألة، ولكن يبقى التوسّع في فهم مراد رسول الله من هذه الأحاديث هو مكمن الاختلاف بينهم. وعليه **سنناقش في هذه المحاضرة الإشكالات التالية: ما أحوال النقل عن بني إسرائيل ؟ وما هي الأسباب الداعية لذلك، ثمّ ما أثر ذلك على المفسر وتفسيره؟.**

1/ مصادر التفسير:

تختلف مصادر التفسير بعد كلّ مرحلة تفسيرية، فالمصادر في عصر الرسول صلّى وسلم عليه منحصرة في كتاب الله وسنته صلّى وسلم عليه، باعتباره المبيّن لمراد الله تعالى، **قال تعالى:** ﴿**وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[1]، **وقال تعالى تعالى:**﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ**

[1] سورة النحل44

[1] سورة النحل89

[2] الشاطبي إبراهيم بن موسى –الموافقات– تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان– دار ابن عفان– ط1–1417هـ–

﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾[1]، والقرآن الكريم كما هو معلوم شامل لأحوال الدنيا والآخرة، ويبقى واجب البيان لرسول الله صلى وسلم عليه، بما يقتضيه الحال والمقام الحامل على البيان.

وتزداد مصادر التفسير في عصر الصحابة، وهكذا في عهد التابعين إلى يومنا هذا يستند عليها المفسّر، ليظهر التفسير في ثوب جديد يتوافق مع عصر المكلّف، ووَفق حاجيات الواقع، ليبقى القرآن الكريم دالاّ على صدق إعجازه على مرّ العصور، وإن تعدّدت ألوانه.

2/قاعدة ابن تيمية في التفسير:

وقرّر ابن تيمية قاعدة جليلة في مصادر التفسير، تبقى ضابطا للنّاظر في كتاب الله تعالى، والمتدبّر لآياته، لئلا يزيغ بالتفسير أهل الأهواء، سواء أقصدوا ذلك بسوء نيّة، أم كانت جرأة وتعدٍّ على تفسير كتاب الله من غير توفّر شروط التفسير، وهذا خطير لأنّ القائل في كتاب الله، هو تقوّل على الله كما يذكر الشاطبي- رحمه الله-:" وَمِنْهَا: أَنْ يَكُونَ عَلَى بَالٍ مِنَ النَّاظِرِ وَالْمُفَسِّرِ وَالْمُتَكَلِّمِ عَلَيْهِ أَنَّ مَا يَقُولُهُ تَقْصِيدٌ مِنْهُ لِلْمُتَكَلِّمِ، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ؛ فَهُوَ يَقُولُ بلسان بيانه: هذا مراد الله مِنْ هَذَا الْكَلَامِ؛ فَلْيَتَثَبَّتْ أَنْ يَسْأَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مِنْ أَيْنَ قُلْتَ عَنِّي هَذَا؟ فَلَا يَصِحُّ لَهُ ذَلِكَ إِلَّا بِبَيَانِ الشَّوَاهِدِ، وَإِلَّا؛ فَمُجَرَّدُ الِاحْتِمَالِ يَكْفِي بِأَنْ يَقُولَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى كَذَا وَكَذَا، بِنَاءً أَيْضًا عَلَى صِحَّةِ تِلْكَ الِاحْتِمَالَاتِ فِي صُلْبِ الْعِلْمِ، وَإِلَّا؛ فَالِاحْتِمَالَاتُ الَّتِي لَا تَرْجِعُ إِلَى أَصْلٍ غَيْرُ مُعْتَبَرَةٍ؛ فَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ لَا بُدَّ فِي كُلِّ قَوْلٍ يَجْزِمُ بِهِ أَوْ يُحَمِّلُ مِنْ شَاهِدٍ يَشْهَدُ لِأَصْلِهِ، وَإِلَّا كَانَ بَاطِلًا، وَدَخَلَ صَاحِبُهُ تَحْتَ أَهْلِ الرَّأْيِ الْمَذْمُومِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"[2].

والقاعدة التي ذكرها ابن تيمية ، وهي أنّ :" الاختلاف في التفسير على نوعين: منه ما مستنده النّقل فقط، ومنه ما يعلم بغير ذلك ، إذ العلم إمّا نقل مصدق وإمّا استدلال محقّق، والمنقول إمّا عن المعصوم وإمّا عن غير المعصوم، والمقصود بأنّ جنس المنقول سواء كان عن المعصوم أو غير المعصوم، وهذا هو النوع الأول منه ما يمكن معرفة الصحيح منه والضعيف، ومنه ما لا يمكن معرفة ذلك فيه.

[1] سورة النحل89

[2] الشاطبي إبراهيم بن موسى -الموافقات- تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان- دار ابن عفان- ط1-1417هـ-1997م-ج4-ص-284-285

وهذا القسم الثاني من المنقول؛ وهو ما لا طريق لنا إلى الجزم بالصدق منه عامّته ممّا لا فائدة فيه، فالكلام فيه من فضول الكلام.وأمّا ما يحتاج المسلمون إلى معرفته، فإنّ الله نصب على الحق فيه دليلا، فمثال ما لا يفيد ولا دليل على الصحيح منه: اختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف، وفي البعض الذي ضرب به موسى من البقرة..."[1].

3/أقسام الإسرائيليات في التفسير:

العمدة في تقسيم الإسرائيليات، والأخذ بها في التفسير من عدمه، مرجعه إلى الحديثين الواردين عن رسول الله صلى وسلم عليه، فقد روى البخاري حديثا من طريق أبي هريرة رضي الله عنه قال:" **عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: {آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ} [البقرة: 136] الآيَةَ »**[2].

وفي الحديث الثاني ، **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**[3]

والذي يظهر أنّ الحديثين متعارضين، ولكن سياق الحديث وموضع وروده هو الفيصل في الأمر، فالحديث الأوّل أورده البخاري في باب الشهادات، والثاني في النّقل عن بني إسرائيل وما ذكر عنهم، ولذا **ذكر ابن حجر في شرحه على البخاري** للحديث الثاني، فقال:" قَوْلُهُ وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ أَيْ: لَا ضِيقَ عَلَيْكُمْ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُمْ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ تَقَدَّمَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزَّجْرُ عَنِ الْأَخْذِ عَنْهُمْ وَالنَّظَرِ فِي كُتُبِهِمْ ، ثُمَّ حَصَلَ التَّوَسُّعُ فِي ذَلِكَ ، وَكَأَنَّ النَّهْيَ وَقَعَ قَبْلَ اسْتِقْرَارِ الْأَحْكَامِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْقَوَاعِدِ الدِّينِيَّةِ خَشْيَةَ الْفِتْنَةِ ، ثُمَّ لَمَّا زَالَ الْمَحْذُورُ وَقَعَ الْإِذْنُ فِي ذَلِكَ لِمَا فِي سَمَاعِ الْأَخْبَارِ الَّتِي كَانَتْ فِي زَمَانِهِمْ مِنَ الِاعْتِبَارِ ، وَقِيلَ مَعْنَى قَوْلِهِ : "لَا حَرَجَ"، لَا تَضِيقُ صُدُورُكُمْ بِمَا

[1] عبد الحليم ابن تيمية- مقدّمة في أصول التفسير- دار مكتبة الحياة- بيروت- لبنان-ط-1490هـ-1980م- ج1- ص: 52

[2] البخاري محمد ابن إسماعيل- صحيح البخاري- تح: محمد زهير بن ناصر الناصر- دار طوق النجاة- ط1-1422هـ- كتاب الشهادات- باب: لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها- ج3- ص:181- رقم:2685

[3] البخاري- الصحيح- كتاب أحاديث الأنبياء- باب ما ذكر عن بني إسرائيل- ج4- ص:170- رقم:3461

سْمَعُونَهُ عَنْهُمْ مِنَ الْأَعَاجِيبِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ وَقَعَ لَهُمْ كَثِيرًا ، وَقِيلَ لَا حَرَجَ فِي أَنَّ لَا تُحَدِّثُوا عَنْهُمْ ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ أَوَّلًا "حَدِّثُوا" صِيغَةُ أَمْرٍ تَقْتَضِي الْوُجُوبَ ؛ فَأَشَارَ إِلَى عَدَمِ الْوُجُوبِ وَأَنَّ الْأَمْرَ فِيهِ لِلْإِبَاحَةِ بِقَوْلِهِ وَلَا "حَرَجَ" أَيْ: فِي تَرْكِ التَّحْدِيثِ عَنْهُمْ، وَقِيلَ الْمُرَادُ رَفْعُ الْحَرَجِ عَنْ حَاكِي ذَلِكَ لِمَا فِي أَخْبَارِهِمْ مِنَ الْأَلْفَاظِ الشَّنِيعَةِ نَحْوَ قَوْلِهِمِ : ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ ، وَقَوْلُهُمْ :﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ ، وَقِيلَ الْمُرَادُ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْلَادُ إِسْرَائِيلَ نَفْسِهِ وَهُمْ أَوْلَادُ يَعْقُوبَ وَالْمُرَادُ حَدِّثُوا عَنْهُمْ بِقِصَّتِهِمْ مَعَ أَخِيهِمْ يُوسُفَ وَهَذَا أَبْعَدُ الْأَوْجُهِ، وَقَالَ مَالِكٌ الْمُرَادُ جَوَاز التحدث عَنْهُمْ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ حَسَنٍ أَمَّا مَا عُلِمَ كَذِبُهُ فَلَا، وَقِيلَ الْمَعْنَى حَدِّثُوا عَنْهُمْ بِمِثْلِ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ ، وَقِيلَ الْمُرَادُ جَوَازُ التَّحَدُّثِ عَنْهُمْ بِأَيِّ صُورَةٍ وَقَعَتْ مِنَ انْقِطَاعٍ أَوْ بَلَاغٍ لِتَعَذُّرِ الِاتِّصَالِ فِي التَّحَدُّثِ عَنْهُمْ بِخِلَافِ الْأَحْكَامِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ فَإِنَّ الْأَصْلَ فِي التَّحَدُّثِ بِهَا الِاتِّصَالُ وَلَا يَتَعَذَّرُ ذَلِكَ لِقُرْبِ الْعَهْدِ ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُجِيزُ التَّحَدُّثَ بِالْكَذِبِ فَالْمَعْنَى حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا لَا تَعْلَمُونَ كَذِبَهُ وَأَمَّا مَا تُجَوِّزُونَهُ فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ فِي التَّحَدُّثِ بِهِ عَنْهُمْ ، وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ؛ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَلَمْ يَرِدِ الْإِذْنُ وَلَا الْمَنْعُ مِنَ التَّحَدُّثِ بِمَا يُقْطَعُ بِصِدْقِهِ"[1].

وهذا جماع الأقوال في الحديث، وبيان محامل الأوجه المتعدّدة له، ويظهر أثر هذا من خلال التقسيم الآتي:

أ/ من مصادر التفسير في عهد الصحابة أهل الكتاب من اليهود والنّصارى[2]

وهنا نبيّن كيف تعامل الصحابة، ولا سيما من اشتهر منهم بالتفسير مع أخبار أهل الكتاب، وهل نعدّها من مصادر التفسير عندهم أو عند بعضهم؟

أهل الكتاب لم يكونوا على درجة واحدة من العلم بكتبهم، فمنهم الأحبار ومنهم دون ذلك، ومنهم من تداركته رحمة الله فدخل في أمّة محمد صلى وسلم عليه، ومنهم من بقي عاكفا على دينه،

[1] ابن حجر العسقلاني- فتح الباري شرح صحيح البخاري- رقم كتبه وأبوابه: محمد فؤاد عبد الباقي- قام بإخراجه وصححه: محب الدين الخطيب- عليه تعليقات ابن باز- دار المعرفة – بيروت- 1379هـ- ج6- ص:498-499 .

[2] محمد حسين الذهبي- التفسير والمفسرون-مكتبة وهبة- القاهرة-دط-دت-ج1- ص:47

ونودّ أن نشير هنا إلى أنّ الأخذ عنهم لم يكن في جميع التفسير، وإنّما اقتصر الصحابة على جوانب منه، كالقصص وأخبار الغيب وغيرها.

ذكر الذهبي أنّ القرآن يتوافق مع التوراة والإنجيل في أشياء [1]، وهذا حقّ لا مرية فيه، مادام أنّ الكتابين من عند الله، ويعني بها المسائل التي لم يدخلها التبديل والتحريف، ولكن قال: بأنّ القرآن سلك منهجا مخالفا في سرد القصص مثلا، ولعلّ هذا ما دفع ببعض الصحابة إلى أن تتشوّق نفوسهم لإدراك التفاصيل[2].

ولكن الأهمّ أنّ الذهبي ذكر شيئا مهمّا، وهو المقدار الذي أخذه بعض الصحابة من مسلمي أهل الكتاب، ككعب الأحبار، وعبد الله بن سلام، فقال:"غير أنّ رجوع بعض الصحابة إلى أهل الكتاب، لم يكن له من الأهمية في التفسير ما للمصادر الثلاثة السابقة، إنّما كان مصدرا ضيّقا محدودا، وذلك أنّ التوراة والإنجيل وقع فيهما الكثير من التحريف والتبديل، وكان طبيعيا أن يحافظ الصحابة على عقيدتهم، ويصونوا القرآن عن أن يخضع في فهم معانيه لشيء ممّا جاء ذكره في هذه الكتب .... ، فكانوا لا يأخذون عن أهل الكتاب إلّا ما يتّفق وعقيدتهم، ولا يتعارض مع القرآن، أمّا ما اتضح لهم كذبه ممّا يعارض القرآن ويتنافى مع العقيدة، فكانوا يرفضونه ولا يصدقونه، ووراء هذا وذاك ما هو مسكوت عنه، لا هو من قبيل الأول، ولا من قبيل الثاني، وهذا النوع كانوا يسمعونه من أهل الكتاب ويتوقّفون فيه، فلا يحكمون عليه بالصدق ولا الكذب"[3].

وهذا ما فهموه من حديث رسول الله السابق، فهُم أولى الناس بالفهم والعلم، والخيرية فيهم، فهذه قاعدة قعّدوها لمن يأتون بعدهم.

[1] المرجع السابق – ص:47

[2] محمد حسين الذهبي– التفسير والمفسرون – ص:47

[3] المرجع نفسه– ص:47-48

وممّا قدمنا يتّضح أنّ أقسام الإسرائيليات على ثلاثة أقسام:

✓ أ/ **ما ثبتت صحّته** : وتُعلم صحّته بالكتاب والسنّة، فهو يتوافق معهما، فلا تعارض، وهذا يجوز الأخذ به ، وحكايته والاستشهاد به، :" والقرآن هو: الكتاب المهيمن، والشاهد على الكتب السماوية قبله، فما وافقه فهو: حقّ وصدق، وما خالفه فهو: باطل وكذب، قال تعالى: ﴿ **وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾[1]"[2]، فالهيمنة تقتضي الغُنْية عمّا سواه، ولكن من أخذ به، فهو على أصل جوازه ولا حرج.

✓ **ب/ ما ثبت كذبه:**

وهذا القسم لا يجوز الأخذ به، ولا حكايته، إذ هو كذب على الله ورسوله، وصاحبه متوعّد **بقوله صلّى وسلم عليه: « وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ »**[3]، وذلك مثل: ما ذكروه في قصص الأنبياء من أخبار تطعن في عصمة الأنبياء عليه م الصلاة والسلام، كقصة يوسف، وداود، وسليمان... وفي هذا القسم: ورد النهي عن النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة عن روايته، والزجر عن أخذه عنهم، وسؤالهم عنه، قال الإمام مالك رحمه الله في حديث: « **وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ** »:" المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أمّا ما عُلِم كذبه فلا"[4]

✓ **ج/ المسكوت عنه:**

وهذا القسم استوى طرفاه، فلا نصدقه ولا نكذّبه، ولكنّه محمول على الإباحة، والأولى بالمؤمن أن يسكت عنه، فالسكوت خير من الخوض فيه، درءا لشبهة فسادهم، " ولعل هذا القسم هو المراد بما رواه أبو هريرة، قال: "كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل

[1] سورة المائدة 48

[2] أبو شهبة- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير- مكتبة السنّة- ط4-دت- ج1- ص:106

[3] الحديث سبق تخريجه ص:08

[4] أبو شهبة- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير - ج1- ص:107

الإسلام، **فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تصدّقوا أهل الكتاب، ولا تكذّبوهم، وقولوا آمنا بالله، وما أنزل إلينا، وما أنزل إليكم**[1]

" هَذَا النَّهْيُ إِنَّمَا هُوَ فِي سُؤَالِهِمْ عَمَّا لَا نَصَّ فِيهِ ؛ لِأَنَّ شَرْعَنَا مُكْتَفٍ بِنَفْسِهِ ، فَإِذَا لَمْ يُوجَدْ فِيهِ نَصٌّ فَفِي النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ غِنًى عَنْ سُؤَالِهِمْ ، وَلَا يَدْخُلُ فِي النَّهْيِ سُؤَالُهُمْ عَنِ الْأَخْبَارِ الْمُصَدِّقَةِ لِشَرْعِنَا ، وَالْأَخْبَارِ عَنِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ ، وَأَمَّا قَوْله تَعَالَى :﴿ **فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ** ﴾[2]، فَالْمُرَادُ بِهِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ، وَالنَّهْيُ إِنَّمَا هُوَ عَنْ سُؤَالِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ مِنْهُمْ"[3].

[1] المرجع السابق- ج1- ص:107

[2] سورة يونس 94

[3] ابن حجر- فتح الباري- ج13- ص:334

المحاضرة الثانية: المحكم والمتشابه في القرآن الكريم

يُعدّ موضوع المحكم والمتشابه من مواضيع علوم القرآن التي شدّت عقول العلماء، وسالت أقلامهم فيه ببيان وجوه إعجاز القرآن الكريم، والتأصيل لأصول التفسير وقواعده، وعليه سنبيّن معنى الإحكام والتشابه، وثمرة الخلاف فيه، وتخرير محلّ النّزاع، تأصيلا وتفصيلا لمسائل بحثية تقرّب أقوال العلماء، وتجمع بين المذاهب ومدارس التفسير.

1/الألفاظ والمعاني بين الخفاء والوضوح

تختلف قوى البشر ومداركهم العقلية كما تختلف قواهم ومداركهم الجسمية، فهناك من الأعمال ما يستطيع أن يفعله كلّ البشر، ومنها ما لا يستطيع فعله إلاّ الأقوياء منهم، ومنهم ما لا يستطيع أحد من البشر فعله، وكذا في المدارك العقلية هناك من المعاني ما يفهمه كلّ البشر، ومنها ما لا يفهمه إلّا العلماء، ومنها ما لا يدرك المراد به أحد من البشر ولا يعلمه إلّا الله.

ومن معاني القرآن الكريم ما هو ظاهر الدلالة، واضح المعنى، ومنه ما خفيت دلالته، وغمض معناه، وتدبّر العلماء في معاني الآيات القرآنية ودرسوا هذين النوعين في باب المحكم والمتشابه.[1]

أ/المحكم لغة:

جاء في لسان العرب أَنّ مادة [ح كَ م] لها معانٍ كثيرة تستعمل بحسب السياق، ومنها:" الذكر الحكيم، أي الحاكم لكم وعليكم، وهو فعيل بمعنى مفعَل، أحكِم بمعنى محكَم، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: حَكَمْتُ وأَحْكَمْتُ وحَكَّمْتُ بِمَعْنَى مَنَعْتُ وَرَدَدْتُ،...وأَحْكَمَ الأَمر: أَتقنه،وأَحْكَمَ الأَمر: أَتقنه"[2].

قال محمد الطاهر بن عاشور:" الْإِحْكَامُ: إِتْقَانُ الصُّنْعِ، مُشْتَقٌّ مِنَ الْحِكْمَةِ بِكَسْرِ الْحَاءِ وَسُكُونِ الْكَافِ. وَهِيَ إِتْقَانُ الْأَشْيَاءِ بِحَيْثُ تَكُونُ سَالِمَةً مِنَ الْأَخْلَالِ الَّتِي تَعْرِضُ لِنَوْعِهَا[3]

---

[1] فهد الرومي- دراسات في علوم القرآن الكريم- ط12- 1424هـ-2003م- ص:390

[2] ابن منظور الأنصاري- لسان العرب- دار صادر- بيروت- لبنان-ط3-1414هـ-ج12- ص:143

[3] الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير-الدار التونسية للنشر- تونس- 1984م-ج11- ص: 314

ب/ التشابه لغة:

: الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المِثْلُ، وَالجَمْعُ أَشْباهٌ. وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ: مَاثَلَهُ[1]

2/ وجود المحكم والمتشابه في القرآن الكريم:

✓ **أ/ تحرير محلّ النّزاع:**

اختلفت العلماء في وجود المحكم والمتشابه في القرآن الكريم بين مثبت ونافٍ، وهذه المسألة جرى فيها الخلْف، وتولّدت عنها الأحكام منذ عصر التنزيل، فالمدقّق في أقوال الصحابة يدرك هذا الخلاف، ومردّ النزاع إلى القرآن الكريم، حيث ورد المصطلحان في سور متفرّقة يفيدان بسياقهما معاني مختلفة، أو متعارضة.

قال تعالى:﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[2]، والآية الثانية قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾[3].

والآية الجامعة والتي عليها مدار الخلاف، هي قوله تعالى :﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[4].

---

[1] المصدر السابق-ج13- ص:505

[2] سورة هود 01

[3] سورة الزمر23

[4] سورة آل عمران07

فالأوصاف الواردة للكتاب- القرآن الكريم- أفادت بمعانيها الاختلاف الحاصل بين العلماء، فكان الخلاف أوّلا، هل في القرآن محكم ومتشابه ؟ أو هل القرآن كلّه محكم، أو كلّه متشابه؟ أم يقسّم القرآن إلى محكم ومتشابه؟.

وفي الحقيقة بعد التأمّل والرجوع إلى مذاهب العلماء، نقول أنّ الخلاف راجع لفهم سياق الآيات أوّلا، ثمّ كان الخلاف تبعا لتحديد معنى المحكم والمتشابه حال الافتراق والتقابل بين الكلمتين، وعليه نقسّم المحكم إلى قسمين تبعا لمعنى الكلمتين في سياقها الوارد في الآيات، وليتّضح محلّ النّزاع ابتداء.

1.1 الإحكام العامّ:

ففي سورة هود وردت كلمة "المحكم" في قوله تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾، وهذا وصف يشمل الكتاب كلّه لصيغة العموم الواردة، ومن هذا الجانب فالقرآن من مشكاة واحدة، فكلّ آياته محكمة لدرء شبهة التعارض والتناقض، فيدخل فيه حتى المتشابه، وهذا يسمى الإحكام العامّ، ومعناه وردت فيه أقوال منها: ما نقله الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس أنّ معنى الإحكام والتفصيل الوارد في الآية:" قال ابن عباس: أُحْكِمَتْ آياتُهُ: لم تنسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرائع بها ، ثُمَّ فُصِّلَتْ: بيّنت بالأحكام والحلال والحرام، قال الحسن وأبو العالية:فُصِّلَتْ: فسّرت مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ"[1]، وأورد الزمخشري أنّ معناه :" أحْكِمَتْ آياتُهُ، نظمت نظما رصينا محكما ، لا يقع فيه نقض ولا خلل، كالبناء المحكم المرصف "[2]. وأشار ابن عطية إلى معنى أجمع وأوجز يدلّ دلالة واضحة على المراد السابق، فقال:" أُحْكِمَتْ معناه : أتقِنت وأجيدت ، شبه تحكم الأمور المتقنة الكاملة، وبهذه الصفة كان القرآن في الأزل ثمّ فصّل بتقطيعه ، وتنويع أحكامه وأوامره على محمد صلى الله عليه وسلم في أزمنة مختلفة ثُمَّ على بابها، وهذه طريقة الإحكام والتفصيل إذ الإحكام صفة ذاتية، والتفصيل إنّما

[1] الثعلبي أبو إسحاق- الكشف والبيان عن تفسير القرآن- تح: الإمام أبي محمد بن عاشور- راجعه ودقّقه: نظير الساعدي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان- ط1-1422هـ-2002م-ج5- ص:156

[2] الزمخشري أبو القاسم- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل- دار الكتاب العربي- بيروت- ط3-1407هـ-ج2- ص:377

هو بحسب من يفصل له، والكتاب بأجمعه محكم مفصّل ، والإحكام الذي هو ضدّ النسخ والتفصيل الذي هو خلاف الإجمال، إنّما يقالان مع ما ذكرناه باشتراك"[1][2].

والذي يظهر لي أنّ وصف الإحكام في معناه العامّ يتناسب مع لفظ الحكمة، ومنها اسم الله الحكيم، ولذا ناسب سياق الآية قوله تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾، فاختيار لفظ الإحكام قابله وصف الحكيم.

1.2التشابه العامّ:

أمّا التشابه في سورة الزمَر، وهو وصف عامّ كذلك للكتاب، وهو مقابل للإحكام العامّ من هذا الوجه، فاختلفت فيه الأقوال، فقال الرازي:" وَأَمَّا كَوْنُهُ كُلِّهِ مُتَشَابِهًا كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَأَقُولُ هَذَا التَّشَابُهُ يَحْصُلُ فِي أُمُورٍ أَحَدُهَا: أَنَّ الْكَاتِبَ الْبَلِيغَ إِذَا كَتَبَ كِتَابًا طَوِيلًا، فَإِنَّهُ يَكُونُ بَعْضُ كَلِمَاتِهِ فَصِيحًا، وَيَكُونُ الْبَعْضُ غَيْرَ فَصِيحٍ، وَالْقُرْآنُ يُخَالِفُ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ فَصِيحٌ كَامِلُ الْفَصَاحَةِ بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ "[3]، وقال البيضاوي:" وتشابهه، تشابه أبعاضه في الإعجاز وتجاوب النّظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة"[4]

وجمع محمد الطاهر بن عاشور بين القولين السابقين وزاد عليها، فقال:" فَمَعَانِيهُ مُتَشَابِهَةٌ فِي صِحَّتِهَا وَأَحْكَامِهَا وَابْتِنَائِهَا عَلَى الْحَقِّ وَالصِّدْقِ، وَمُصَادَفَةِ الْمَحَزِّ مِنَ الْحُجَّةِ وَتَبْكِيتِ الْخُصُومِ، وَكَوْنِهَا صَلَاحًا لِلنَّاسِ وَهُدًى ، وَأَلْفَاظُهُ مُتَمَاثِلَةٌ فِي الشَّرَفِ وَالْفَصَاحَةِ وَالْإِصَابَةِ لِلْأَغْرَاضِ مِنَ الْمَعَانِي بِحَيْثُ تَبْلُغُ أَلْفَاظُهُ وَمَعَانِيهُ أَقْصَى مَا تَحْتَمِلُهُ أَشْرَفُ لُغَةٍ لِلْبَشَرِ وَهِيَ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ مُفْرَدَاتٍ وَنَظْمًا، وَبِذَلِكَ كَانَ

---

[1] ابن عطية عبد الحقّ- المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- تح: عبد السلام عبد الشافي محمد- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1-1422هـ- ج3- ص:148

[2] ونختار هذا المعنى الذي يتناسب مع الإحكام العامّ، وهذا الذي عليه عليه جلّ المفسّرين كالرازي والبيضاوي والطاهر بن عاشور وغيرهم، والذين ألّفوا في علوم القرآن، كالسيوطي والزركشي من المتقدمين والمتأخرين، وهذا لا يعني أنّ بقية الأقوال غير داخلة.

[3] الفخر الرزي- مفاتيح الغيب- التفسير الكبير- دار إحياء التراث العربي- بيروت-ط3-1420هـ-ج26-ص:446

[4] البيضاوي ناصر الدين- أنوار التنزيل وأسرار التأويل- تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط1-1418هـ-ج5- ص:41

مُعْجِزًا لكلّ بليغ عَن أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ جَمِيعَ آيَاتِ الْقُرْآنِ بَالِغٌ الطَّرَفَ الْأَعْلَى مِنَ الْبَلَاغَةِ، وَأَنَّهَا مُتَسَاوِيَةٌ فِي ذَلِكَ بِحَسْبِ مَا يَقْتَضِيهِ حَالُ كُلِّ آيَةٍ مِنْهَا"[1].

1.3التقسيم المختار:

وبعد سوقنا لتفسير الكلمتين الواردتين في سورة "هود والزمر"، وبيان المعاني المحتملة والمعنى المرتضى، نجد أنفسنا أمام سورة "آل عمران"، والتي توضّح التقسيم بدلالتها الواضحة، أمّا المقصود بالمحكم والمتشابه، فيأتي بيانه فيما بعد، قال تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ** ﴾[2].

ذكر الزركشي أنّ الأقوال الواردة على ثلاثة أقسام، فقال:" وَقَدْ حَكَى الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ النَّيْسَابُورِيُّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ مُحْكَمٌ ، لقوله تعالى: { **كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ** } وَالثَّانِي: كُلُّهُ مُتَشَابِهٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {:﴿ **ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا** ﴾، وَالثَّالِثُ: -وَهُوَ الصَّحِيحُ- أَنَّ مِنْهُ مُحْكَمًا وَمِنْهُ مُتَشَابِهًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ** ﴾"[3]

فالزركشي رجّح القول الثالث، وهو انقسامه إلى محكم ومتشابه، وتبعه في ذلك السيوطي في "الإتقان" في التقسيم والترجيح، فقال بعد ذكره للقولين:" الثَّالِثُ وَهُوَ الصَّحِيحُ انْقِسَامُهُ إِلَى مُحْكَمٍ وَمُتَشَابِهٍ لِلْآيَةِ الْمُصَدَّرِ بِهَا"[4].

---

[1] الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير- ج23- ص:386

[2] سورة آل عمران07

[3] الزركشي بدر الدين- البرهان في علوم القرآن- تح: محمد أبو الفضل إبراهيم- دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركائه- ثم صورته دار المعرفة – لبنان-ط1-1376هـ-1957م-ج2- ص:68

[4] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن-تج: محمد أبو الفضل إبراهيم- الهيئة المصرية العامة للكتاب- 1394هـ-1974م-ج3- ص:03

3/ أراء العلماء في المحكم والمتشابه[1]– الإحكام والتشابه الخاصّ–

توسّع العلماء في بيان معنى المحكم والمتشابه، فترتّب عن ذلك أقوال كثيرة مرجعها إلى تقابل الكلمتين، وخفاء المعنى ابتداء، نظرا لورود المصطلحين في القرآن الكريم باستعمالات مختلفة، وفي سياق مختلف، ولذا سنبيّن جملة الأقوال الواردة في ذلك.

وجماع الأقوال الواردة في المحكم والمتشابه أشارت إليها المؤلفات التي تُعنى بعلوم القرآن عموما، وقد ذكر ذلك السيوطي في الإتقان فقال:" وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي تَعْيِينِ الْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ عَلَى أَقْوَالٍ:
فَقِيلَ: الْمُحْكَمُ مَا عُرِفَ الْمُرَادُ مِنْهُ إِمَّا بِالظُّهُورِ وَإِمَّا بِالتَّأْوِيلِ وَالْمُتَشَابِهُ مَا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ[2] ،كَقِيَامِ السَّاعَةِ وَخُرُوجِ الدَّجَّالِ وَالْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ . **وَقِيلَ**: الْمُحْكَمُ مَا وَضَحَ مَعْنَاهُ ، وَالْمُتَشَابِهُ نَقِيضُهُ. **وَقِيلَ**: الْمُحْكَمُ مَا لَا يَحْتَمِلُ مِنَ التَّأْوِيلِ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا ، وَالْمُتَشَابِهُ مَا احْتَمَلَ أَوْجُهًا. **وقيل**: الْمُحْكَمُ مَا كَانَ مَعْقُولَ الْمَعْنَى، وَالْمُتَشَابِهُ بِخِلَافِهِ كَأَعْدَادِ الصَّلَوَاتِ وَاخْتِصَاصِ الصِّيَامِ بِرَمَضَانَ دُونَ شَعْبَانَ قَالَهُ الْمَاوَرْدِيُّ. **وَقِيلَ**: الْمُحْكَمُ مَا اسْتَقَلَّ بِنَفْسِهِ وَالْمُتَشَابِهُ مَا لَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ إِلَّا بِرَدِّهِ إِلَى غَيْرِهِ[3].**وَقِيلَ**: الْمُحْكَمُ مَا تَأْوِيلُهُ تَنْزِيلُهُ، والمتشابه ما لا يدري إِلَّا بِالتَّأْوِيلِ.**وَقِيلَ**: الْمُحْكَمُ مَا لَمْ تَتَكَرَّرْ أَلْفَاظُهُ وَمُقَابِلُهُ الْمُتَشَابِهُ. **وَقِيلَ**: الْمُحْكَمُ الْفَرَائِضُ وَالْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ ، وَالْمُتَشَابِهُ الْقِصَصُ وَالْأَمْثَالُ.

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الْمُحْكَمَاتُ نَاسِخُهُ وَحَلَالُهُ وَحَرَامُهُ وَحُدُودُهُ وَفَرَائِضُهُ وَمَا يُؤْمَنُ بِهِ وَيُعْمَلُ بِهِ ، وَالْمُتَشَابِهَاتُ مَنْسُوخُهُ وَمُقَدَّمُهُ وَمُؤَخَّرُهُ وَأَمْثَالُهُ وَأَقْسَامُهُ وَمَا يُؤْمَنُ بِهِ وَلَا يُعْمَلُ بِهِ.
وَأَخْرَجَ الْفِرْيَابِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: الْمُحْكَمَاتُ مَا فِيهِ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْهُ مُتَشَابِهٌ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا"[4].

---

[1] محمد فاروق النبهان– المدخل إلى علوم القرآن الكريم– دار عالم القرآن – حلب– ط1–1426هـ–2005م– ص:178

[2] أشار إلى ذلك القرطبي، ينظر، القرطبي أبو عبد الله– الجامع لأحكام القرآن– تفسير القرطبي– تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش–دار الكتب المصرية– القاهرة–ط2–1384هـ–1964م–ج4– ص:09

[3] ذكر صاحب زاد المسير ثمانية أقوال منها هذا القول، ينظر: محمد جمال الدين الجوزي– زاد المسير في علم التفسير– تح: عبد الرزاق المهدي– دار الكتاب العربي– بيروت–ط1–1422هـ–ج1– ص:258

[4] السيوطي– الإتقان في علوم القرآن– ج3– ص:04

والوجوه المذكورة كلّها محتَملة ما دام لفظ المحكم والمتشابه مجملا، ولكن يبقى للعلماء ترجيحات بدت لهم من خلال النّظر في القرآن الكريم، وكذلك لاعتبارات أخرى لاحتمال دخول شُبَه يعترض بها أصحاب الزيغ ، والإمام الجصّاص ذكر بعض المعاني الواردة في المحكم والمتشابه التي أوردها أصحابها وردّ عليها، ورجّح معنىً بدا له من خلال نظره[1].

1.3القول المختار:

والذي نختاره من الأقوال أنّ المحكم هو ما ظهر معناه واتّضح، أمّا المتشابه، فهو خفي المعنى- الدلالة-، وهو على درجات في الخفاء فمنه الذي يعلمه الراسخون من العلم، ومنه الذي استأثر الله بعلمه، فلا يظهره لأحد من خلقه.

4/موقف المسلم من المحكم والمتشابه في القرآن الكريم[2]

والمسلم يستحضر مقصد الامتثال لله، فما عرّفه لنا ووضّحه، فهذا لا إشكال فيه، وما غيّبه عنّا، وخفيت دلالته، فقد ارتضى لعلمائه بيانه للنّاس ، ويبقى ما استأثر به تعالى في علم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا، والمؤمن يعلم أنّ الإيمان به واجب، وهذا المقصد من وضع الشريعة كمال قال الشاطبي:" إِخْرَاجَ الْمُكَلَّفِ عَنْ دَاعِيَةِ هَوَاهُ، حَتَّى يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ اخْتِيَارًا، كَمَا هُوَ عَبْدٌ لِلَّهِ اضْطِرَارًا.
وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أُمُورٌ:

أَحَدُهَا:

النَّصُّ الصَّرِيحُ الدَّالُّ عَلَى أَنَّ الْعِبَادَ خُلِقُوا للتعبد لله، والدخول تَحْتَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ،...**الثَّانِي:**
مَا دَلَّ عَلَى ذَمِّ مُخَالَفَةِ هَذَا الْقَصْدِ مِنَ النَّهْيِ أَوَّلًا عَنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ، وَذَمِّ من أعرض عن الله... وإيعادهم بالعذاب العادل مِنَ الْعُقُوبَاتِ الْخَاصَّةِ بِكُلِّ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ الْمُخَالَفَاتِ، وَالْعَذَابِ الْآجِلِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَأَصْلُ ذَلِكَ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَالِانْقِيَادُ إِلَى طَاعَةِ الْأَغْرَاضِ الْعَاجِلَةِ، وَالشَّهَوَاتِ الزَّائِلَةِ، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ اتِّبَاعَ الْهَوَى مُضَادًّا لِلْحَقِّ"[3].

---

[1] الجصّاص أحمد بن علي أحكام القرآن- تح: عبد السلام محمد علي شاهين-دار الكتب العلمية- بيروت-ط1-1415هـ-1994م- ج2- ص:05 .

[2] محمد البنا الساعاتي- نظرات في كتاب الله- دار التوزيع والنّشر الإسلامية-القاهرة-1423هـ-2002م-ج1-ص:513

[3] الشاطبي- الموافقات- ج2- ص:290

فائدتين: وقصدت بهاتين الفائدتين تجلية غبش الفتنة عن القلوب المريضة عمّا يعرض لها من الوساوس لضعف الفهم في مسألة وقع المتشابه في القرآن الكريم، منها:

✓ أنّ هذا القرآن محكمه ومتشابهه من مشكاة واحدة، فأنت متعبّد بهما معا، ولا يضرّك عدم وضوحه، فالتكليف بما لا يستطاع مدفوع ومرفوع في شريعتنا .

✓ ليعلم المسلم أنّ الأغلب الأعمّ الواقع في كتاب الله تعالى هو المحكم لا المتشابه، فيردّ المتشابه إلى المحكم في بعضه لا في كلّه. قال تعالى: ﴿ **مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ**﴾، قال ابن جُزي في تفسير أمّ الكتاب:" أي عمدة ما فيه ومعظمه "[1]، وهو الذي ذكره الثعالبي كذلك:" أي: معظم الكتاب، وعُمْدة ما فيه: إذ المحْكَم في آياتِ اللَّه كثيرٌ قد فُصِّلَ، ولم يفرَّطْ في شيء منه... وأنَّ مُحْكَمَه وبَيِّنَهُ الَّذي لا اعتراض فيه هو معظمه، والغالِبُ فيه ، وأنَّ متشابهه الذي يحتملُ التَّأْوِيلَ، ويحتاجُ إلى التفهُّم هو أقلُّه"[2].

5/ ثمرة معرفة المتشابه:

حوى القرآن الكريم المتشابه الذي اختلفت في معانيه العلماء، وقد يقول قائل لماذا لم يجعل الله القرآن كلّه محكما؟، والبحث عن العلّية والمقصد فيما يعرض لك في شرع الله بقصد معرفة حِكَم الشريعة ، هو إثبات لحكمة الله تعالى المتّصف بها، والموصوف بها كتابه، والتفريق بين مقاصد الافتراض، ليس كمقاصد الاعتراض، وهو كقول القائل: لا ينبغي لله أن يفعل كذا وكذا، فهذا جوابه هو قوله تعالى:﴿ **لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ**﴾[3]، ولذا أشار الراغب الأصفهاني إلى بعض الحكَم

---

[1] ابن جزي الغرناطي- التسهيل لعلوم التنزيل- تح: عبد الله الخالدي- شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت-ط1-1416هـ- ج1- ص:145

[2] الثعالبي عبد الرحمن-الجواهر الحسان في تفسير القرآن- تح: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود-دار إحياء التراث العربي- بيروت-ط1-1418هـ-ج2- ص:11

[3] سورة الأنبياء23

من إيراد المتشابه في القرآن نذكرها لتأنيس القلوب منها:

- أن يُبيّن تشريف العلماء بتميُّزهم عن غيرهم، ومنها: رياضة العقول في تعرفها.

ومنها: استحقاق الثواب بتعبِ الفكر فيه، ومنها: إظهارُ شرف الفكر.

ومنها: حثّ من أخبر الله عنهم أنّهم قالوا: ﴿**لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ**﴾[1] على أن يتدبّره، لأنّهم إذا سمعوا ما في ظاهره التنافي تأملوه طلبًا لردّه ؛ فيصير ذلك سببًا أن يعرفوه لمعرفتهم بإعجازهم ولزوم الحجة به.

ومنها: أن يصير سببًا لاعتراف الإنسان بعجزه ومعرفة نقصه.

ومنها: أن يصير الناسُ تبعًا للأنبياء وأُولي الأمر الذين حثّ على اتباعهم لقوله تعالى : ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾[2][3]

وقال الطاهر بن عاشور:" وَسَبَبُ وُقُوعِ الْمُتَشَابِهَاتِ فِي الْقُرْآنِ: هُوَ كَوْنُهُ دَعْوَةً، وَمَوْعِظَةً، وَتَعْلِيمًا، وَتَشْرِيعًا بَاقِيًا، وَمُعْجِزَةً، وَخُوطِبَ بِهِ قَوْمٌ لَمْ يَسْبِقْ لَهُمْ عَهْدٌ بِالتَّعْلِيمِ وَالتَّشْرِيعِ، فَجَاءَ عَلَى أُسْلُوبٍ مُنَاسِبٍ لِجَمْعِ هَذِهِ الْأُمُورِ، بِحَسَبِ حَالِ الْمُخَاطَبِينَ الَّذِينَ لَمْ يَعْتَادُوا الْأَسَالِيبَ التَّدْرِيسِيَّةَ، أَوِ الْأَمَالِيَ الْعِلْمِيَّةَ، وَإِنَّمَا كَانَتْ هِجِّيرَاهُمُ الْخَطَابَةَ وَالْمُقَاوَلَةَ"[4].

---

[1] سورة فصلت26

[2] سورة النساء 83

[3] الراغب الأصفهاني- تفسير الراغب الأصفهاني-تح : عادل بن علي الشدّي- دار الوطن- الرياض-ط1-1424هـ-2003م-ج2- ص:427-428.

[4] الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير-ج3- ص:157

المحاضرة الثالثة: علم الوجوه والنّظائرفي القرآن الكريم

البحث في القرآن الكريم تولّدت عنه مباحث عديدة، ثمرتها هي بيان أصل من أصول الإسلام الكبرى، وهو بيان وجوه الإعجاز التي اشتمل عليها القرآن الكريم، وذلك ببيان محاسنه، وخفاياه، والمهيمن لإبراز هذه الوجوه، جليّها وخفيّها، دقّها وجلّها، هو التفسير، لفظا ومعنى، وذلك لاشتمال التفسير على مجموعة من العلوم سواء أكانت من مادّته أم من استمداه، تبرز بمجموعها لطائف الإعجاز. ولذا البحث في علم الوجوه والنّظائر هو بحث في وجه من وجوه الإعجاز، إذ هو بحث في أصل من أصول اللّغة، وذلك بإدراك أسرار اللّسان المنزل به، وهذا منطلق المفسّر، وغاية المتدبّر.

1/ المقصود بالوجوه والنّظائر:

ونقصد به علاقة اللّفظ بالمعنى، فالاستعمال العربي يتوسّع ويضيق، والوجوه والنّظائر من هذا الباب. ووردت مفاهيم متعدّدة في اللفظين تحدّد المعنى حال الإفراد والتقابل بين الكلمتين منها:

"**الْوُجُوهُ**: اللَّفْظُ الْمُشْتَرَكُ الَّذِي يُسْتَعْمَلُ فِي عِدَّةِ مَعَانٍ ..**وَالنَّظَائِرُ** كَالْأَلْفَاظِ الْمُتَوَاطِئَةِ، وَقِيلَ **النَّظَائِرُ** فِي اللَّفْظِ ، **وَالْوُجُوهُ** فِي الْمَعَانِي ، وَضَعُفَ ، لِأَنَّهُ لَوْ أُرِيدَ هَذَا لَكَانَ الْجَمْعُ فِي الْأَلْفَاظِ الْمُشْتَرِكَةِ، وَهُمْ يَذْكُرُونَ فِي تِلْكَ الْكُتُبِ اللَّفْظَ الَّذِي مَعْنَاهُ وَاحِدٌ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ ، فَيَجْعَلُونَ الْوُجُوهَ نَوْعًا لِأَقْسَامٍ وَالنَّظَائِرَ نَوْعًا آخَرَ كَالْأَمْثَالِ"[1].

2/ظاهرة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم[2]

فالوجوه في القرآن الكريم هي ألفاظ اشتملت على معانٍ مختلفة، تختلف استعمالاتها حسب سياقاتها الواقعة فيها، والنّظائر ما كان على لفظ واحد يصدق على جميع أفراده على السواء.

---

[1] الزركشي- البرهان في علوم القرآن- ج1- ص:103، والسيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج2- ص:145، وابن القاسم عبد الرحمن النّجدي- حاشية مقدّمة التفسير - ط2-1410هـ-1990م-ص:116

[2] مناهج جامعة المدينة العالمية- الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم- جامعة المدينة العالمية-دط-دت-ص:248

أ/ أسباب اشتمال القرآن على الوجوه والنّظائر:

وقبل أن نشير إلى مَواطن وجود الوجوه والنّظائر في القرآن الكريم، وتعليل ذلك وَفق السياق، نشير إلى أنّ القرآن عربي اللّسان، لم يخرج عن قواعد الكلام العربي حال المخاطبة، إلّا ما تفرّد به من أوجه الإعجاز، والوجوه والنّظائر كما تقرّر سابقا هو من علم اللّغة، أي: شمله اللّسان العربي، فالأولى أن نبحث عن علّة ذلك في الاستعمال العربي، ثمّ يزيدنا القرآن وضوحا وفائدة.

- ✓ منها:" اختلاف القبائل العربية في وضع الألفاظ بمعانيها.
- ✓ ومنها: أنّ اللّفظ قد يوضع بمعنى، ثم يستعمل في غيره مجازًا.
- ✓ *ومنها: أنّ اللفظ يكون موضوعًا بمعنى مشترك بين المعنيين، والمثال المشهور في كلمة "القرء": **{ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ}** (البقرة: 228)، فهل القروء هي طُهر أم حيض؟ وهذا اللفظ من الألفاظ المشتركة، وقضية المشترك اللفظي معروفة بين الأصوليين.
- ✓ أن يكون اللفظ موضوعًا لمعنًى في اللغة، ثم يوضع في الاصطلاح بمعنى آخر"[1]

ب/أهمّية معرفة الوجوه والنّظائر للمفسّر:

ولا ريب أنّ المفسّر عليه أن يجمع من العلوم ما لم يجمعه غيره، والبداءة بعلم اللغة أوّلا، فيسبر من بحر ألفاظها ومعانيها وغريبها، ويعلم سَنن العرب في كلامها، ولذلك ذكر البيهقي في شعب الإيمان بسنده أنّه **سَمِع أَبَا الْقَاسِمِ بْنَ حَبِيبٍ حَيْثُ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ الْمَيْدَانِيَّ الْخَطِيبَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا قُرَيْشٍ الْحَافِظَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ فَضْلَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ: " أَلَا أُوتَى بِرَجُلٍ غَيْرِ عَالِمٍ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ يُفَسِّرُ ذَلِكَ إِلَّا جَعَلْتُهُ نَكَالًا "**[2].

ونصر الشاطبي معهود الأمّيين بغية فهم كلام الله تعالى، وهو أحقّ، فقد سبقه من هو أفضل منه، وهو ترجمان القرآن عبد الله بن عباس، ومسائله مع نافع الأزرق معلومة منقولة [3]، قال الشاطبي في

---

[1] المرجع السابق- ص:249

[2] البيهقي أحمد بن الحسين- شعب الإيمان- حققه وراجع نصوصه: عبد العلي عبد الحميد حامد- أشرف على تحقيقه: مختار أحمد الندوي صاحب الدار السلفية ببومباي- الهند- مكتبة الرشد للنشر والتوزيع- الرياض-ط1-1423هـ-2003م- ج3- ص:543- رقم 2090

[3] من أراد الرجوع والاستزادة، ينظر: عبد الله بن عباس- غريب القرآن في شعر العرب-مسائل نافع ابن الأزرق-دط - دت-.

موافقاته:" وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي فَهْمِ الشَّرِيعَةِ مِنِ اتِّبَاعِ مَعْهُودِ الْأُمِّيِّينَ، وَهُمُ الْعَرَبُ الَّذِينَ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِهِمْ، فَإِنْ كَانَ لِلْعَرَبِ فِي لِسَانِهِمْ عُرْفٌ مُسْتَمِرٌّ، فَلَا يَصِحُّ الْعُدُولُ عَنْهُ فِي فَهْمِ الشَّرِيعَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ عُرْفٌ، فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُجْرَى فِي فَهْمِهَا عَلَى مَا لَا تَعْرِفُهُ.وَهَذَا جارٍ فِي الْمَعَانِي وَالْأَلْفَاظِ وَالْأَسَالِيبِ"[1].

فإذا ظاهرة الوجوه والنظائر ناتجة عن تنوّع المعاني حول اللفظ الواحد، وهذه الظاهرة من الظواهر التي ينبغي على المفسر أن يعلمها، وأن يعرفها تمامَ المعرفة قبل الخَوْض في كلام الله –سبحانه وتعالى– وتفسيره، وقبل أن يتصدّى ببيان معاني القرآن، فعليه أن يهتم بهذا العلم الذي صُنفت فيه التصانيف، واهتم العلماء ببيانه[2].

ج/ العلاقة بين المعاني اللّغوية والوجوه والنّظائر[3]:

ومن فهم هذه العلاقة انجلى عنه غبش العلاقة بين الدالّ والمدلول، أي: العلاقة بين اللفظ والمعنى، وعلم أنّ اللّسان العربي لا ينضب بحره، ولا يدرى قعره، وفهم أنّ اللفظ حمّال أوجه، يختلف باختلاف الوضع، والاستعمال، والسياق، وهذا ما سنقف عليه في القرآن الكريم، وقد أشار إلى ذلك أحد الباحثين مبيّنا ركنية السياق بقوله:" فالسّياق له دخل كبير في وضوح المعنى، والوجوه لا ينكشف معناها، ولا يتضّح مفهومها إلّا في ضوء السّياق القرآني"[4].

ج/ دواعي التأليف في الوجوه والنّظائر:

خدمة كتاب الله تعالى اكتنفتها أيدي العلماء من أوجه عديدة، حملهم على ذلك حسن القصد في فهم كتاب الله تعالى، ورغبة في نفع أفراد الأمّة، وإفراد علوم بعينها بالتأليف كانت وراءه أسباب أخرى، كنفي خبث الشّبهات التي تعرض لكتاب الله تعالى، إمّا توضيحا لما أشكل فهمه، أو دفعا لما قصد به سمّه، والتأليف في الوجوه والنّظائر له أسبابه حتى وإن لم يبلغنا نصّ واضح يبيّن علّة ذلك، ولكن نستطيع أن نعرف بعض الأسباب الحاملة على ذلك منها:

---

[1] الشاطبي – الموافقات–ج2– ص:131

[2] مناهج جامعة المدينة العالمية– الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم–ص:249

[3] عبد العال سالم مكرم– المشترك اللفظي في الحقل القرآني– مؤسسة الرسالة– بيروت–ط2–1417هـ–ص:44

[4] المرجع نفسه– ص:44

- أنّ الوجوه والنّظائر من علوم اللغة كما وضحنا، أي : علاقة بين الألفاظ والمعاني، وهذا القرآن أنزل ليفهم عنه، وسبيل ذلك كتب التفسير، فكان لزاما على المفسّر أن يوضّح العلاقة اللغوية للألفاظ ويربطها بسياقها القرآني.

- "أن الباحث يجد في كتب الوجوه والنظائر جمعا لآيات اتّفقت في اشتمالها على لفظ معيّن، يدلّ في كلّ مجموعة منها على معنى واحد من المعاني التي يتصرّف إليها في النص القرآني"[1].
- بيان إعجاز القرآن الكريم ؛ فقد جعل بعضهم هذه الوجوه كما ذكر السيوطي من "أنواع معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرّف إلى عشرين وجها وأكثر وأقلّ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر "[2]. واستشهد السيوطي بأثر أورده مقاتل بن سليمان في صدر كتابه مرفوعا ثم علّق عليه :" "لَا يَكُونُ الرَّجُلُ فَقِيهًا كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى يَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهًا كَثِيرَةً ".قُلْتُ: هَذَا أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ مَوْقُوفًا وَلَفْظُهُ: "لَا يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الْفِقْهِ ": وَقَدْ فَسَّرَهُ بَعْضُهُمْ بِأَنَّ الْمُرَادَ أَنْ يَرَى اللَّفْظَ الْوَاحِدَ يَحْتَمِلُ مَعَانِيَ مُتَعَدِّدَةً ، فَيَحْمِلَهُ عَلَيْهَا إِذَا كَانَتْ غَيْرَ مُتَضَادَّةٍ وَلَا يَقْتَصِرُ بِهِ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ "[3]. وأثرا آخر عن ابن عساكر في تاريخه، وهو قوله :" وإنّك لن تفقه كلّ الفقه حتى ترى للقرآن وجوها ، قال حماد، فقلت لأيوب أرأيت قوله حتى ترى للقرآن وجوها ، قال: فسكت هنيهة ،قال فقلت: أهو أن ترى له وجوها فتهاب الإقدام عليه، فقال: نعم، هذا هو"[4]
- وقيل مرجع ذلك عموما إلى وجود نهضة تأليفية، وحركة علمية في شتى العلوم الإسلامية، فأراد مؤلّفو هذه الكتب أن يسيروا في الطريق الذي سار فيه غيرهم، وأن يدلوا بدلوهم بين الدّلاء في حركة التسابق في التأليف والتصنيف[5].

---

[1] يحي بن سلام الإفريقي- التصاريف لتفسير القرآن ممّا اشتبهت أسماؤه وتصرّفت معانيه- تح: هند شلبي- الشركة التونسية للتوزيع-1979م-ص:25

[2] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج2- ص:144

[3] المصدر نفسه-ج2- ص:144

[4] ابن عساكر أبو القاسم- تاريخ دمشق- تح: عمر بن غرامة العمروي- دار الفكر للطباعة والنّشر-1415هـ-1995م- ج47- ص:173

[5] عبد العال سالم مكرم- المشترك اللفظي في الحقل القرآني- ص:44

4/المصنّفات في علم الوجوه والنّظائر:

المصنّفات في الوجوه والنّظائر كثيرة، وهذه المصنّفات تشترك في نفس المعنى حتى وإن اختلفت وجوه التسمية، فمنها ما كانت التسمية مطابقة، ومنها ما كانت في المشترك اللفظي، وحمل اسمها غير هذا التعبير. ومنهم من حاز قصب السبق في التأليف، وتبعه بعد ذلك من أتى بعده.

يقول ابن الجوزي:" وَبعد لما نظرت فِي كتب الْوُجُوه والنظائر الَّتِي ألّفها أَرْبَاب الِاشْتِغَال بعلوم الْقُرْآن، رَأَيْت كل مُتَأَخّر عَن مُتَقَدم يحذو حذوه، وينقل قَوْله مُقَلدًا لَهُ من غير فكرة فِيمَا نَقله وَلَا بحث عَمَّا حصله[1].

وذكر الزركشي في البرهان أنّ من ألّف فيه قديما هو مقاتل بن سليمان البلخي **ت150هـ**، وَجَمَعَ فِيهِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ ابن الزاغوني، وأبو الفرج بن الْجَوْزِيِّ، وَالدَّامْغَانِيُّ الْوَاعِظُ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ فَارِسٍ، وَسُمِّيَ كِتَابُهُ "الْأَفْرَادَ"[2].

ولكن ابن الجوزي قال: قد نسب كتاب فِي " الْوُجُوه والنظائر " إِلَى عِكْرِمَة عَن ابْن عَبَّاس " رَضِي الله عَنْهُمَا "، وَكتاب آخر إِلَى عَليّ بن أبي طَلْحَة عَن ابْن عَبَّاس.

وَمِمَّنْ ألّف فِي كتب " الْوُجُوه والنظائر ". الْكَلْبِيّ[3]، وَمُقَاتِل بن سُلَيْمَان[4]، وَأَبُو الْفضل الْعَبَّاس بن الْفضل الْأَنْصَارِيّ[5]. وروى مطروح بن مُحَمَّد بن شَاكر عَن عبد الله بن هَارُون الْحِجَازِي[6]

---

[1] جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنّظائر- تح: محمد عبد الكريم كاظم الراضي- مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان-ط1-1404هـ-1984م- ص:81

[2] الزركشي- البرهان في علوم القرآن-ج1- ص:102

[3] محمد بن السائب، توفي سنة 146.

[4] مقاتل" بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي صاحب التفسير قال البخاري روى عنه المحاربي حدثنا مقاتل بن جوال دوز وقال عيسى بن يونس مقاتل بن دوال دوز روى عن نافع مولى بن عمر وأبي إسحاق السبيعي وأبي الزبير والزهري والضحاك ومجاهد وابن سيرين وثابت البناني وزيد بن أسلم وعطاء بن أبي رباح وعطية بن سعد وعمرو بن شعيب وجماعة. ينظر: ابن حجر العسقلاني- تهذيب التهذيب-مطبعة دائرة المعارف النظامية-الهند- ط1-1326هـ-ج10-ص:279

[5] هو العباس ابن الفضل الأنصاري قاضي الموصل توفي 186 هـ.

[6] عبد الله بن هارون الحجازيّ شيخ حجازي في عصر الثوري

عَن أَبِيه، كتابا فِي " الْوُجُوه والنظائر "، وَأَبُو بكر بن مُحَمَّد بن الْحسن النقاش [1]، وَأَبُو عبد الله الْحُسَيْن بن مُحَمَّد الدَّامغَانِي [2]، وَأَبُو عَليّ الْبناء [3] من أَصْحَابنَا، وَشَيخنَا أَبُو الْحسن عَليّ بن عبيد الله بن الزَّاغُونِيّ[4]. وَلَا أعلم أحدا جمع الْوُجُوه والنظائر سوى هَؤُلَاءِ [5]. ومن الأوائل كتاب "التصاريف" كذلك[6]، وهذه التسمية لا تبعد في معناها عن الوجوه كما قال الباحث عبد العال سالم في دراسته لمنهج يحي بن سلام في كتابه[7].

5/ أمثلة الوجوه والنّظائر في القرآن الكريم:

كما أسلفت الذكر ، فإنّنا سنذكر الكلمة القرآنية، ثم نتتبّع سياقاتها الواردة في القرآن الكريم، لنبرز المعاني المختلفة لها، وهذا اللون هو من أنواع التفسير الموضوعي.

كلمة الهدى: ونبتدئ بها تيمّنا بكتاب الله تعالى إذ بدأ وصف الكتاب بالهداية. ولهذه الكلمة سبعة عشر وجها وقيل تسعة عشر وجها.

أصله التقدّم ممّن ثمّ قيل للعنق: الهادي لتقدمه الجسد ، ثمّ استعمل في الإرشاد ، ثمّ جعل من الإرشادِ في الدين، والإرشاد في الطريق فرق في المصدر، فقالوا: في الدين هدى ، وفي الطريق هداية، وسمي الهدْي هدْيا؛ لأنّه يقدّم للنّحر، والهدِية تقدّم أمام الحاجة، والعروس هدى؛ لأنّها تقدّم إلى زوجها ويتّبعها أهلها، والفرق بين الهدى والإرشاد : أنّ الهدى يكون في الخير والشرّ ، يقال: هداه إلى السوء

[1] أبو بكر حسن النقاش توفي سنة 351 هـ

[2] أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني توفي سنة 478 هـ

[3] أبو عليّ البناء توفي سنة 471 هـ

[4] الزاغوني توفي سنة 527 هـ

[5] ابن الجوزي- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنّظائر- ص:83

[6] كتاب التصاريف ليحي بن سلام- سماه التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه

[7] عبد العال سالم مكرم- المشترك اللفظي في الحقل القرآني- ص116

والمكروه، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [1]، ولا يكون الإرشاد إلّا إلى الخير [2].

وذلك في قوله في البقرة: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾ [3]، يعني على بيان من ربّهم. وقوله في لقمان: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى ﴾ [4] ، يعني على بيان. وتصديق ذلك في حم السَّجدة قوله: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ ﴾ [5]، يعني: بيَّنَّا لَهُمْ. [6]

- وَالدِّينِ: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ [7] .
- وَالْإِيمَانِ: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗى ﴾ [8] .
- والدعاء: ﴿ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٖ ﴾ [9] ، ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا ﴾ [10] .
- وَبِمَعْنَى الرِّسْلِ وَالْكُتُبِ: ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى ﴾ [11] .
- والمعرفة: ﴿ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ [12]
- وَبِمَعْنَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ ﴾ [13]

---

[1] سورة الصافات 23

[2] أبو هلال العسكري- الوجوه والنّظائر- حقّقه: محمد عثمان- مكتبة الثقافة الدينية-ط1-1428هـ-2007م-ج1-ص:497

[3] سورة البقرة05

[4] سورة لقمان05

[5] سورة فصلت 17

[6] يحي بن سلام- كتاب التصاريف-ص:96

[7] سورة آل عمران73

[8] سورة مريم 76

[9] سورة الرعد07

[10] سورة الأنبياء73

[11] سورة البقرة 38

[12] سورة النحل16

[13] سورة البقرة159

- وَبِمَعْنَى الْقُرْآنِ:[1] ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾[2] .
- وَالتَّوْرَاةِ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ ﴾[3].
- والاسترجاع: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[4] .
- وَالْحُجَّةِ: ﴿ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[5] ، بَعْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ ﴾[6] أَيْ :لَا يَهْدِيهِمْ حُجَّةً.
- وَالتَّوْحِيدِ: ﴿ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ ﴾[7] .
- والسنة: ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[8] ، ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾[9]
- وَالْإِصْلَاحِ: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾[10] .
- وَالْإِلْهَامِ: ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[11] ، أَيْ: أَلْهَمَهُمُ الْمَعَاشَ.
- وَالتَّوْبَةِ: ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾[12] .
- وَالْإِرْشَادِ: ﴿ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[13] .

---

[1] الزركشي- البرهان في علوم القرآن-ج1- ص:103

[2] سورة النجم23

[3] سورة غافر53

[4] سورة البقرة157

[5] سورة البقرة258

[6] سورة البقرة258

[7] سورة القصص 57

[8] سورة الأنعام90

[9] سورة الزخرف22

[10] سورة يوسف52

[11] سورة طه50

[12] سورة الأعراف156

[13] سورة القصص22

وَمِنْ ذَلِكَ: **السُّوءُ** يَأْتِي عَلَى أَوْجُهٍ:

- الشِّدَّةِ: ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾[1] .
- والعَقر: ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾[2] .
- وَالزِّنَى: ﴿ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾[3] ، ﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾[4] .
- وَالْبَرَصِ: ﴿ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾[5] .
- وَالْعَذَابِ: ﴿ إِنَّ ٱلْخِزْيَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ﴾[6] .
- وَالشِّرْكِ: ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾[7] .
- والشدة: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾[8] .﴿ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾[9] .
- والذنب: ﴿ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ﴾[10] .
- وَبِمَعْنَى: بِئْسَ ﴿ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[11] .
- والضر: ﴿ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[12] ، ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾[13] .
-

---

[1] سورة البقرة08

[2] سورة الأعراف73

[3] سورة يوسف25

[4] سورة مريم28

[5] سورة طه22

[6] سورة النحل27

[7] سورة النحل28

[8] سورة النساء148

[9] سورة الممتحنة02

[10] سورة النساء17

[11] سورة الرعد25

[12] سورة النمل62

[13] سورة الأعراف188

- وَالْقَتْلِ وَالْهَزِيمَةِ: ﴿ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾[1]"[2] .

تفسير اللّباس على ستة وجوه:

اللِّباس واللَّبس: ما يُلبَس واللّبس المصدر، وسُمِّي الخلط" لَبْسا"؛ لأنّ وجه الصواب مستمر معه، وأصل اللَّبس الستر، واللّبوس مثل اللّباس، قال الشاعر:لبوسا ومطعما[3].

❖ **الوجه الأول: اللّباس يعني الخلط**

وذلك قوله في البقرة: ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[4]، يعني: لا تخلطوا الحقَّ بالباطل. وفي آل عمران: ﴿ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[5]، يعني لِمَ تخلطون الحقَّ بالباطل؟ أي: الإسلام بالشِّرْك، تفسير الحسن. وفي الأنعام: ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[6]، يعني: ولم يخلطوا إيمانهم بشرك.

❖ **الوجه الثاني: اللّباس يعني السكن**

وذلك قوله في البقرة: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[7]، يقول: نساؤكم سكن لكم وأنتم سكن لهنَّ. وفي الفرقان: ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾[8]، يعني: سكنا. والَّتِي في "عم يتساءلون": ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾[9]، يعني: سكنا.

---

[1] سورة آل عمران174

[2] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن-ج2- ص:147

[3] أبو هلال العسكري- الوجوه والنّظائر-ج1- ص:423

[4] سورة البقرة42

[5] سورة آل عمران71

[6] سورة الأنعام82

[7] سورة البقرة187

[8] سورة الفرقان47

[9] سورة النّبأ 10

❖ **الوجه الثالث: اللباس يعني الثياب التي تُلبس**

الأعراف: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ ﴾[1]، يعني : الثِّيَابَ. وفي "حم الدخان": ﴿ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ﴾[2] ، يعني: الثِّيَاب بعينها.

❖ **الوجه الرابع: اللّباس يعني العمل الصالح**[3]

وذلك قوله في "الأَعراف": ﴿ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾[4]، يعني: العمل الصَّالح والعفاف، لأَنّ العفيف مستور العورة، وإِن كان عاريا من الثِّيَاب، وأنّ الفاجر بادي العورة، وإِن كان كاسيا من الثِّياب.

❖ **الوجه الخامس: اللّباس يعني الشّبيه**

وذلك قوله في سورة" الأنعام": ﴿ وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾[5]، يعني: ولشبَّهْنا عليهم ما يشبِّهون.

❖ **الوجه السادس: اللّباس يعني الشك**

وذلك قوله في سورة "ق" ﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ﴾[6]، يعني: بل هم في شك ﴿مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ ، يعني: في شكٍّ. وهو قول الحسن[7].

وألفاظ أخرى وردت من هذا القبيل يرجع له في كتب الوجوه والنّظائر [8]، كلفظ الأمّة، والهدى، والغيّ، والفساد، واليسير.... وأمّا الأفراد؛ فهي ألفاظ تجيء بمعنى مفرد غير المعنى الذي تستعمل فيه

---

[1] سورة الأعراف26

[2] سورة الكهف 31

[3] ابن الجوزي- – نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنّظائر- ص:529، وقد ذكر ثلاثة معانٍ فقط

[4] سورة الأعراف26

[5] سورة الأنعام09

[6] سورة ق 15

[7] يحي بن سلام- كتاب التصاريف-ص:120

[8] قد رتّبها ابن الجوزي في كتابه نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنّظائر على ترتيب الحروف، ترتيبا محكما ودلّل على ذلك، وذكر بعضها السابقون له والمتأخرون عنه.

عادة، ولابن فارس في إحصاء هذا النوع كتاب [1] قال فيه: كلّ ما في القرآن مِنْ ذِكْرِ الْأَسَفِ فَمَعْنَاهُ الحزن إلا ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾[2]، فَمَعْنَاهُ أَغْضَبُونَا.

وَكُلُّ مَا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ " الْبُرُوجِ "، فَهِيَ الْكَوَاكِبُ إِلَّا: ﴿ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[3] ، فَهِيَ الْقُصُورُ الطِّوَالُ الْحَصِينَةُ.

وَكُلُّ مَا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ " الْبَرِّ وَالْبَحْرِ "، فَالْمُرَادُ بِالْبَحْرِ الْمَاءُ وَبِالْبَرِّ التُّرَابُ الْيَابِسُ إِلَّا: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[4]، فَالْمُرَادُ بِهِ الْبَرِيَّةُ وَالْعُمْرَانُ.."[5]

وممّا بان لك من الوجوه والنّظائر تدرك به أسرار اللّسان العربي، ويتّضح لك سعته، فيعطيك من ألفاظه ما اشتهى لسانك في الاختيار والاضطرار ، ومن المعاني ما تبلغ به العقول غاية الاقتدار، والمهيمن على وجه الإعجاز في هذا الجانب هو كلام الله الذي اشتمل على جيّد اللفظ وجياد المعاني، فلزم على متدبّريه الوقوف على فنَن السّبك ليحصل الدرك.

[1] مصطفى صادق الرافعي- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية- دار الكتاب العربي- بيروت-ط8-1425هـ-2005م- ص:54

[2] سورة الزخرف 55

[3] سورة النساء 78

[4] سورة الروم41

[5] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج2- ص:156

المحاضرة الرابعة: الوضع في التفسير

ممّا تقرّر في أصول الشريعة أنّ شرف العلم بشرف الانتساب، ولذا كان تفسير الكتاب أولى ما تصرّف فيه الجهود، وتبذل في سبيله الأوقات، لأنّ مستمدّ شرفه من شرف وعزّة قائله، فتوسّعت العلماء في خدمته تحصيلا لشرفه،جمعا، وحفظا، قراءة، وإقراء، واستنباطا، وتفسيرا، وتدبّرا، منذ بدء تنزّله وإلى يوم ميراث أرضه، ومن عليها من خلقه.مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1].

والمتتبع لمراحل عمُر الأمّة يدرك أنّ فترة شبابها كانت أكثر حرصا على كتاب ربّها، فبلّغت الأمانة امتثالا لأمر الله ولأمر رسوله، وما إن اتّسع جسد الأمة ، ودخل في ترابه الأعاجم، وهَن العظم، فدخل في دين الله ما ليس منه، ومنها علم التفسير، وهو ما يعرف بالدخيل في علم التفسير.

1/ التفسير بين الدخيل والأصيل:

من المعلوم أنّ العلوم الشرعية في العهد الأول، لم تكن مستقلّة في تآليف ومصنّفات خاصّة، وإنّما كانت ضمن علم واحد في أكثرها، ثمّ أفردت فيما بعد، فأصبحت علوما قائمة بذاتها، ومن هذه العلوم علم التفسير إذ كان ضمن كتب الحديث، وذلك أنّ السند كان عزّ القرون الخيرية الأولى، ثمّ استقلّ عنه فيما بعد للاحتياج والتوسّع.

وعلم التفسير مسّه من الدخل ما مسّ الحديث، فدخله وعلِق به ما ليس منه، وهذا ما يسمى بالدخيل في علم التفسير، فما هو الدخيل؟ وما هي أسبابه؟

[1] سورة الحجر 09

1.1/الدخيل والأصيل

أ/في اللغة : جاء في المصباح المنير معنى الدخيل قال:" وَفُلَانٌ دَخِيلٌ بَيْنَ الْقَوْمِ أَيْ لَيْسَ مِنْ نَسَبِهِمْ بَلْ هُوَ نَزِيلٌ بَيْنَهُمْ وَمِنْهُ قِيلَ هَذَا الْفَرْعُ دَخِيلٌ فِي الْبَابِ وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ ذُكِرَ اسْتِطْرَادًا وَمُنَاسَبَةً وَلَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ عَقْدُ الْبَابِ"[1].

فدلّ المعنى اللغوي على حقيقة المراد من الدخيل في التفسير إذا استعملنا المعنى في بابه، أي: هو ليس بأصل في التفسير، فهو نزل بين الأصل، إمّا بغرض سيّئ، أو بوجه غير مناسب في بابه.

ب/ اصطلاحا: هو الذي ليس له أصل صحيح في الدين، تسلّل إلى رحاب التفسير على حين غِرّة، وعلى حين غفلة من الزمن؛ بفعل مؤثرات مختلفة بعد وفاة رسول الله –صلى الله عليه وسلم[2].
وهو كالإسرائيليات، والموضوعات عموما، وسنفرد الحديث عن الوضع، وأسبابه فيما يأتي .

وقلنا في البداية أنّ التفسير كان جزءا من الحديث، إذ الجامع بينهما هو السند، ولذا تجد في كتب السنّة أقساما أفردت للتفسير النبوي، وتفسير الصحابة، والتابعين، والحديث دخله الوضع مما استدعى من علماء الأمة أن يجمعوه وينفوا عنه الخبث الذي علق به، وتأثّر التفسير بالحديث فأصابه قَتَر منه، وتوالى فيما بعد الوضع لأسباب.

2/ التفسير بين القوّة والضَّعف:

والتفسير تقلّب بين جناحي القوّة والضّعف، ففي عصر النبوّة كان التفسير يمتاز بالصحّة لوجود من هو مكلّف ببيانه لأمته، وهو النبي صلّى وسلم عليه، وما أشكَل على الصحابة رفع فيه الخلاف، ولكن بعد وفاته صلى وسلم عليه دخل التفسير بالمأثور ما ليس منه، وهذا راجع لأسباب ، وهو ما احتاط فيه سلف الأمة ، فقد نقل ابن تيمية في مقدّمة أصول التفسير قول الإمام أحمد رحمه الله،

[1] الفيومي أحمد – المصباح المنير في غريب الشرح الكبير– المكتبة العلمية– بيروت– دط–دت– ج1– ص:190
[2] مناهج جامعة المدينة العالمية– الدخيل في التفسير– ماجستير– جامعة المدينة العالمية–دط–دت–ص:12

قال:" ومعلوم أنّ المنقول في التفسير أكثره كالمنقول في المغازي والملاحم؛ ولهذا قال الإمام أحمد: ثلاثة أمور ليس لها إسناد: التفسير، والملاحم، والمغازي. ويروي: ليس لها أصل، أي : إسناد؛ لأنّ الغالب عليها المراسيل، مثل ما يذكره عروة بن الزبير، والشعبي، والزهري.."[1]

وهو يقصد ما غلب على التفسير كما ذكره، لأنّ التفسير فيه مرويات صحيحة بسندها، والمراسيل مختلف في الأخذ بها كما هو معلوم، والخلاف في المرسل بين المحدّثين والأصوليين ظاهر.

ويضمّ الدخيل أنوعا كثيرة كلّها تعدّ من أسباب الوضع وهي مضعفة للتفسير:

*يضم الأحاديث الموضوعة على النبي –صلى الله عليه وسلم.
*الأحاديث الضعيفة، خاصة إذا كان ضعفها لا ينجبر.
*يضم الإسرائيليات المخالفة للقرآن أو السنّة أو التي لا يعرف لها موافقة، ولا مخالفة، وهو ما نعرفه بأنّه المسكوت عنه، أمّا الإسرائيليات الموافقة لما عندنا فلا تعتبر من قبيل الدخيل.
** يدخل تحت هذا القسم ما نُسب إلى الصحابة، ولم يثبت عنهم.
* ما نسب إلى التابعين، ولم يثبت عنهم"[2][3].

وأجملها محمد حسن الذهبي في ثلاثة فقط، فقال:" نستطيع أن نُرجِعْ أسباب الضعف في رواية التفسير المأثور إلى أُمور ثلاثة:
أولها: كثرة الوضع في التفسير.**ثانيها**: دخول الإسرائيليات فيه.**ثالثها**: حذف الأسانيد"[4].

1.2/التفصيل في أسباب الوضع:

والوضع في التفسير على وجه الخصوص كانت وراءه دوافع، إمّا بنيّة إفساد المسلمين، فوجدوا طريقا للدخول منه، أو داء أصاب الأمّة ما استدعى حذف الإسناد الذي هو الركن والعماد.

[1] ابن تيمية– مقدمة في أصول التفسير– ص:22
[2] مناهج جامعة المدينة العالمية– الدخيل في التفسير– ص:14
[3] ذكر في هذا الكتاب سببين آخرين، إلّا أنّني لم أوافقهم فيما ذهبوا إليه، ولذلك اكتفيت بذكر الخمسة المذكورة فقط
[4] محمد حسين الذهبي– التفسير والمفسرون– مكتبة وهبة –ج1– ص:115

أ/ ما دسّه الزنادقة من اليهود والفرس والرومان وغيرهم في الرواية الإسلامية

وهؤلاء دخلوا إلى الإسلام وتستروا بجلبابه ليوهنوا المسلمين، والسبيل الأمثل وجدوه في سنّة رسول الله صلّى وسلم عليه، فأدخلوا أحاديث موضوعة مكذوبة، تُوهم التعارض البيّن بغرض افتتان المسلمين، فيقتتلوا، وتذهب ريحهم، ومن هذا ما اختلقه الروافض، والشيعة، والمنتسبون لآل البيت [1]، وهذا جمرته الأولى التعصبّ الطائفي والمذهبي ، جعل كلّ طائفة من هذه الطوائف تحاول بكلّ جهودها أن تؤيّد مذهبها بالاختلاق، وتفسير القرآن بغير ما أراده الله [2]، وحجّتهم إيهام أنفسهم بلمّ كلمة المسلمين معهم، وهذا عين التدليس والكذب عن رسول الله الذي حذّر منه.

ونلحق به ما لفّقته الفرق الضّالة من أحاديث، كالقدرية، والباطنية، والجهمية، والمرجئة، وأضرابهم فقد وضعوا أحاديث[3] تؤيّد هواهم المذهبي، وأوردوا أقوالا لا هي من التفسير ولا من التأويل، قال ابن تيمية:" والمقصود أن مثل هؤلاء اعتقدوا رأيا ، ثمّ حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم "[4]، ثمّ ذكر أمثلة عن ذلك نقتبس منها :" فتفسير الرافضة كقولهم: ﴿ **تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ** ﴾[5]، هما أبو بكر وعمر، و ﴿ **لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ** ﴾[6]، أي: بين أبي بكر وعلي في الخلافة، و ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً** ﴾[7]، هي عائشة، و ﴿ **فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ** ﴾[8]، طلحة والزبير، و ﴿ **مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ** ﴾، عليّ وفاطمة، و﴿ **ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ** ﴾[9]، الحسن والحسين"[10]

---

[1] محمد أبو شهبة- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير-مكتبة السنة- ط4-1408هـ-ص:86

[2] محمد حسين الذهبي- التفسير والمفسرون- مكتبة وهبة -ج1- ص:116

[3] ينظر: محمد أبو شهبة- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير -ص:88

[4] ابن تيمية- مقدمة في أصول التفسير- ص:35

[5] سورة المسد01

[6] سورة الزمر65

[7] سورة البقرة67

[8] سورة التوبة 12

[9] سورة الرحمن22

[10] ابن تيمية- مقدمة في أصول التفسير- ص:36

وقد ذكر عبد القاهر البغدادي أنّ ابن أبي العوجاء وضع أحاديث كثيرة بأسانيد يغترّ بهَا من لَا معرفَة لَهُ بِالْجَرْحِ وَالتَّعْدِيل ، وَتلك الأحاديث التي وَضعهَا كلّهَا ضلالات فِي التَّشْبِيه والتعطيل ، وَفِي بَعْضهَا تَغْيِير أَحْكَام الشَّرِيعَة ، وَرفع خبر هَذَا الضالّ إلى أَبى جَعْفَر بن مُحَمَّد بن سُلَيْمَان عَامل الْمَنْصُور على الْكُوفَة فأمر بقتْله فَقَالَ : لن يقتلوني، لقد وضعت أَرْبَعَة ألاف حَدِيث أحللت بهَا الْحَرَام، وَحرمت بهَا الْحَلَال ، وفطرت الرافضة فِي يَوْم من أَيَّام صومهم ، وصومتهم فِي يَوْم من أَيَّام فطرهم"[1]

ونزيد إليه ما دخله من إسرائيليات مما دسّه أهل الكتاب عن قصد منهم، وقد فصّلنا فيه القول في محاضرة مفردة، ونقصد بها ما رووه من أباطيل وخرافات تناقض العقل قبل الوحي، وهي مبثوثة في القصص وغيبيات عالم الشهادة والآخرة[2].

- **ب/قسم ما نُسب للصحابة والتابعين، ولم يثبت عنهم**

وما نسب إلى بعض الصحابة لا سيما من اشتهر منهم بالتفسير ،كترجمان القرآن عبد الله ابن عباس رضي الله عنه [3]، ونحن نثبت لابن عباس مرتبته في التفسير، وقد دعا له النبي صلى وسلم عليه **بقوله:«اللهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ »** [4]، وابن عباس بريء ممّا نسب إليه، بغرض صراع سياسي، وانتصارا لعصبية النّسب ممّا غرضه باطل، وهو الأمر نفسه للإمام علي

[1] عبد القاهر البغدادي- الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية- دار الآفاق الجديدة- بيروت- ط2- 1977م- ص:256-257

[2] ينظر: محمد أبو شهبة- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير -ص:86

[3] ينظر: المرجع نفسه- ص:86

[4] أحمد بن حنبل- المسند- تح: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون- إشراف: عبد الله عبد المحسن التركي-مؤسسة الرسالة- ط1-4 21هـ-2001م- مسند أهل البيت- مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النّبي صلى وسلم عليه-ج4- ص:225- رقم:2397

رضي الله عنه، وما نسب إليه من تفسير من طرف الشيعة، وما لفّقوه من أحاديث، بغرض التقرّب من بيت النبوّة.

- **ج/حذف الإسناد:** وممّا أصاب الأمّة الإسلامية في فترة من تاريخها، هو حذف الإسناد، إذ الغالب في الصدر الأول هو التلقين والمشافهة، ثم تفطّن الصحابة رضي الله عنهم كأبي بكر وعمر وغيرهم بدخول الوضع والضّعف، فأرادوا أن تسلم الأمّة من هذا المرض ، وليس شكّا منهم في صحابة رسول الله، وهي سنّة من سُنن الخلفاء الراشدين لتبصير الأمة بما سيحدث لها في مستقبلها.

فقد روى مالك في الموطأ أنّ الجدّة جاءت لأبي بكر لأجل الميراث فقال لها: "مالك في كتاب الله شيء، وَمَا عَلِمْتُ لَكِ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، شَيْئاً. فَارْجِعِي حَتَّى أَسْأَلَ النَّاسَ. فَسَأَلَ النَّاسَ. فَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ: حَضَرْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، أَعْطَاهَا السُّدُسَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَلْ مَعَكَ غَيْرُكَ؟ فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَ الْمُغِيرَةُ. فَأَنْفَذَهُ لَهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ"[1].

وهو الحال نفسه لعمر رضي الله عنه في الاستئذان ثلاثا، فقد روى ذلك مالك في الموطأ:" أَنَّ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ جَاءَ يَسْتَأْذِنُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. فَاسْتَأْذَنَ ثَلاَثاً ثُمَّ رَجَعَ. فَأَرْسَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي أَثَرِهِ، فَقَالَ: مَا لَكَ لَمْ تَدْخُلْ؟

فَقَالَ أَبُو مُوسَى: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: **«الِاسْتِئْذَانُ ثَلاَثٌ. فَإِنْ أُذِنَ لَكَ فَادْخُلْ وَإِلاَّ فَارْجِعْ»**.فَقَالَ عُمَرُ: وَمَنْ يَعْلَمُ هذَا؟ لَئِنْ لَمْ تَأْتِنِي بِمَنْ يَعْلَمُ ذلِكَ لأَفْعَلَنَّ بِكَ كَذَا وَكَذَا. فَخَرَجَ أَبُو مُوسَى حَتَّى جَاءَ مَجْلِساً فِي الْمَسْجِدِ يُقَالُ لَهُ مَجْلِسُ الْأَنْصَارِ. فَقَالَ: إِنِّي أَخْبَرْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ: أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: « **الِاسْتِئْذَانُ ثَلاَثٌ. فَإِنْ أُذِنَ لَكَ فَادْخُلْ وَإِلاَّ فَارْجِعْ**». فَقَالَ: لَئِنْ لَمْ تَأْتِنِي بِمَنْ يَعْلَمُ هذَا لأَفْعَلَنَّ بِكَ كَذَا وَكَذَا. فَإِنْ كَانَ سَمِعَ ذلِكَ أَحَدٌ مِنْكُمْ فَلْيَقُمْ مَعِي. فَقَالُوا لِأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: قُمْ مَعَهُ. وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ أَصْغَرَهُمْ. فَقَامَ مَعَهُ. فَأَخْبَرَ

[1] مالك بن أنس- الموطأ- تح: محمد مصطفى الأعظمي- مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان-أبو ظبي- الإمارات-ط1- 1425-2004م- كتاب الفرائض- ميراث الجدة- ج3- ص:732- رقم:1871

ذلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ.فَقَالَ عُمَرُ لأَبِي مُوسَى: أَمَا إِنِّي لَمْ أَتَّهِمْكَ. وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَتَقَوَّلَ النَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم"[1].

والتابعون مثلهم، فقد نُسب إليهم اختلاق كثير من غير إسناد، ومن غير تحرّ عن رواتها، فمن ثمّ التبس الصحيح بالضعيف، والحقّ بالباطل، وصار كلّ من يقع على رأي يعتمده ويورده، ثمّ يجيء من بعدهم فينقله على اعتبار أنّ له أصلا، وتحسينا للظنّ بقائله، ولا يكلّف نفسه مؤنة البحث عن الرواية[2].

ومنهم بعض الجهلة الذين كذَبوا على رسول الله، وحجّتهم أنّهم يكذبون له لا عليه، ولذلك قال ابن كثير:" منهم متعبّدون يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً، يضعون أحاديث فيها ترغيب وترهيب، وفي فضائل الأعمال، ليعمل بها. وهؤلاء طائفة من الكرَّامية وغيرهم، وهم من أشرّ ما فعل هذا، لما يحصل بضررهم من الغرر على كثير ممن يعتقد صلاحهم، فيظن صدقهم، وهم شر من كلّ كذّاب في هذا الباب. قال بعض هؤلاء الجهلة: نحن ما كذبنا عليه، إنّما كذبنا له! وهذا من كمال جهلهم، وقلّة عقلهم، وكثرة فجورهم وافترائهم، فإنّه عليه الصلاة والسلام لا يحتاج في كمال شريعته وفضلها إلى غيره"[3].

3/ أثر الوضع في التفسير[4]:

التفسير تأثّر بسبب الوضع من جانبين، **الأوّل**: أن دخله ما ليس له صلة بالتفسير، وهذا انبرى له من الأئمة من ينقّحه ويمحصّه، وهم المحدّثون ، فبيّنوا مختلق الحديث وموضوعه، ووضعوا قواعد يعرف بها، **والثاني**: وهو كما ذكر حسين الذهبي، أنّ التفسير ضاع منه الكثير لأسباب منها:" أنّ ما أحاط به من شكوك، أفقدنا الثقة به، وجعلنا نردّ كلّ رواية تطرَّق إليها ش يء من الضّعف، وربما كانت صحيحة فى ذاتها.

---

[1] المصدر السابق- كتاب الاستئذان- باب الاستئذان- ج5- ص:1403- رقم:3540

[2] محمد أبو شهبة- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير -ص:93

[3] ابن كثير أبو الفداء- اختصار علوم الحديث- تح: أحمد محمد شاكر- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط2- دت- ص:78-79

[4] محمد حسين الذهبي- التفسير والمفسرون- ج1- ص:117

كما أنّ اختلاط الصحيح من هذه الروايات بالسقيم منها، جعل بعض مَنْ ينظر فيها وليس عنده القدرة على التمييز بين الصحيح والعليل، ينظر إلى جميع ما رُوِىَ بعين واحدة، فيحكم على الجميع بالصحة، وربما وَجَد من ذلك روايتين متناقضتين عن مفسِّر واحد فيتهمه بالتناقض في قوله، ويتّهم المسلمين بقبول هذه الروايات المتناقضة المتضاربة"[1].

4/ جهود العلماء في الكشف عن الوضع:

والأمّة الإسلامية وسَمها رسول الله بوسم عدم الاجتماع على الضّلال في مجموعها، وهذه صفة في أمّة محمد صلّى وسلم عليه دون بقية الأمم، ولذا انبرى طائفة من العلماء لتنقيح وتمحيص المرويات، رواية ودراية، فأخرجوا ما اختلق وما دُسّ بقصدٍ وبدونه، فبيّنوه للأمة، وصنفوا فيه، ثم قعّدوا قواعد يعرف بها ما سبق ليكون ميزانا يعرف به الوضع، وهذا أكثره في علم الحديث، وكذلك في التفسير إذ الجامع هو السند وقد كان قسما منه ابتداء.

والواجب على المسلم أن يتحرّى المرويات وأقوال المفسرين، وإن نسبها لأصحابها، إذا التثبّت مطلوب اليوم، لأنّنا في عصر سهُل فيه التّثبت، رجوعا إلى المصنفات، وتتّبع الأقوال والنقولات، ولا سيما فيما عرف من أنّ الوضع قد مسّه، فلا ينقل كلّ ما وجده، لئلا ينسب للتفسير ما ليس منه.

[1] المرجع السابق- ج1- ص:117

المحاضرة الخامسة: الجدل في القرآن الكريم

المتدبّر لكتاب الله تعالى حقيقة هو الذي يقف على مقاصد الخطاب القرآني المتنوّع، ليقف على أسراره في تحريك داعي النّظر توفيقا بين كتابه المسطور، وكونه المنظور، فيستقيم حال قلبه عقيدة بزيادة التدرج في معارج الإسلام والإيمان والإحسان، ويمتثل أمر ربّه في تشريعه للأحكام، ويتمثل أخلاق القرآن في واقع الناس . والخطاب القرآني يستمد قوة تأثيره من خلال تنوّع أسلوبه في مخاطبة النوع الإنساني على اختلاف العقول، ولقد تفنّن القرآن في عرض حججه ردّا على معارضيه ومكابريه، فسلب خصومه الحجة ، وأبان لهم المحجة، فأعجزهم عن الإتيان بمثله بقوله تعالى :﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[1]

الجدل في القرآن الكريم:

نزول القرآن الكريم في بيئة عربية أُلِف أفرادها المكابرة والجدال، توحي أنّ القرآن الكريم اتخذ منهجا فريدا في إلزام الخصوم الحجّة والبرهان، فتدرّج بهم من التعريف إلى الاعتراف، ردّا على شبههم ، وكشفا لحيلهم، وسدّا لذريعة تزيين الباطل بالحق، بأسلوب مناظرة وجدال ليقع الإقناع بالحق، فعدّد من آياته بما اقتضاه الحال والمقام، جمعا بين البراهين العقلية والسمعية ليبلغ بهم التبكيت، فحاولوا مجاراته لبلوغ الصدّ عنه وما هم ببالغيه، ولقد علموا ذلك فقالوا: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾[2].

وسنبيّن لفظة الجدل ووقوعها في القرآن الكريم، ومنهج القرآن الكريم في جدال خصومه؟

[1] سورة البقرة23

[2] سورة فصلت26

أ/المدلول اللغوي والاصطلاحي للجدل:

لفظة الجدل لها معانٍ كثيرة مستعملة في كلام العرب بحسب سياقاتها، والذي يهدف إليه بحثنا هو ما يتعلّق بالمجادلة والمناظرة، قال الجوهري:" وجادَلَهُ، أي : خاصمه، مُجادَلةً وجِدالاً: والاسم الجَدَلُ، وهو شدّة الخصومة. وجَدَلتُ الحبلَ أَجْدُلُهُ جَدْلاً، أي فَتَلْتُهُ فتلاً محكماً "[1]، وأمكن اشتقاقه من الجدْل بسكون الدال كما ذكر ذلك الطوفي، قال:" وهو الشدّ والإحكام يقال جدَلت الحبل أجدِله جدلا، كتصريف فتَلته فتلا إذا فتلته فتلا شديدا محكما"[2]

وهذه المعاني تدلّ على الغلبة والقوة التي يتضمّنها معنى الجدال والمناظرة، إذ كلّ واحد من المتجادلين يودّ غلبة صاحبه وقهره بقوة الحجة والدليل.

ب/اصطلاحا: قال الطوفي:" إنّه ردّ الخصم عن رأيه إلى غيره بالحجّة، أو يقال: علم أو آلة يتوصّل بها إلى فتل الخصم عن رأيه إلى غيره بالدليل"[3].

والمجادل يستمدّ قوته من الدليل لطرح دليل الخصم، وإلزامه العدول عن رأيه، وهذا ارتقاء من مرحلة إلى مرحلة، وهذا من معاني الإحكام الوارد في معناه اللغوي، ولذا أصبح علما قائما فيما بعد له أسسه وشروطه تعرف بعلم الجدال والمناظرة.

واستعمل الجدل عند المناطقة والأصوليين والفقهاء بنفس المعنى السابق الذي يفيد إلزام الخصم الحجة[4].وبعد أن دعت الأسباب إلى أن يقوم هذا العلم ردّا على خصوم الإسلام، ودحض شبهاتهم،

---

[1] الجوهري أبو نصر- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية- تح: أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملايين- بيروت-ط4- 1407-1987م-ج4-ص:1653

[2] نجم الدين الطوفي – علم الجذل في علم الجدل- تح: قولفهارت هاينريشس- النشرات الإسلامية32- بطلب دار النشر فرانز شتاينر بقيسبادن-1408-1987م- طبع بمساعدة مؤسسة الأبحاث العلمية الألمانية بإشراف المعهد الألماني للأبحاث الشرقية- بيروت- ص:39

[3] المصدر نفسه- ص:04

[4] عثمان علي حسن- منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد- دار إشبيليا-السعودية- ط1-1420هـ-1999م- ص:26-27

كان موضوعه الأصلي كما ذكر الطوفي- الجدل- هو الأدلة من جهة ما يبحث فيه عن كيفية نظمها وترتيبها على وجه يوصّل إلى إظهار الدعوى وانقطاع الخصم[1].

2/ التفسير الموضوعي لكلمة الجدل في القرآن الكريم:

كلمة "الجدل" وما تصرّف منها وردت في القرآن الكريم، وعدّها أبو الفرج ناصر الدين بن الحنبلي فقال:" وقعت في تسعة وعشرين موضعا، ولفظة الحجّة وما تصرّف منها في سبعة وعشرين موضعا، ولفظة السلطان في ثلاثة وثلاثين موضعا، الجميع المراد به الحجّة سوى موضع واحد في الحاقة: ﴿**هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ**﴾، وقيل: المراد به الحجّة، فأمّا الجدل ، فهو مذمومٌ في كلّ موضعٍ ذكر إلّا في ثلاثة مواضع: " أحدها ": في النحلِ: ﴿ **ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[2] . " الموضعُ الثاني ": في العنكبوتِ: ﴿ **وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[3]، الموضعُ الثالث " : في المجادلةِ: ﴿ **قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا** ﴾[4]"[5] والذي ذكره في سورة الحاقة" سلطانية"، قيل المراد به الحجة على قول، فيدخل في المعاني الأولى، ويحمل على وجه الذمّ، وحمله على الحجة ذكره الرازي عن ابن عباس[6]، وقيل :" وَالثَّانِي: ذَهَبَ مُلْكِي وَتَسَلُّطِي عَلَى النَّاسِ وَبَقِيتُ فَقِيرًا ذَلِيلًا، وَقِيلَ مَعْنَاهُ: إِنَّنِي إِنَّمَا كُنْتُ أُنَازِعُ الْمُحِقِّينَ بِسَبَبِ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ، فَالْآنَ ذَهَبَ ذَلِكَ الْمُلْكُ وَبَقِيَ الْوَبَالُ"[7].

---

[1] نجم الدين الطوفي – علم الجذل في علم الجدل – ص:04

[2] سورة النحل125

[3] سورة العنكبوت 46

[4] سورة المجادلة 01

[5] أبو الفرج ناصر الدين بن الحنبلي – استخراج الجدال من القرآن الكريم- تح: زاهر بن عواض الألمعي- مطابع الفرزدق التجارية- ط2- 1401هـ- ص:50-52

[6] الرازي- مفاتيح الغيب-ج30- ص:630

[7] المصدر نفسه- ج30- ص:630

3/ في أوّل من سنّ الجدال[1]:

وقد آثرت ذكر هذه التسمية على " نشأة الجدال "، لغرضٍ يخدم التدليل على سنيّة الجدال، وكونه منطلقا قرآنيا في الردّ على الخصوم، وما دام منطلقه القرآن الكريم للوصول إلى الإقناع أو التبكيت، ضرب لنا الله قصة في البقرة حوت مبادئ هذا العلم وأسسه وعواقبه. وهي قوله تعالى :﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[2]، إلى قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ**﴾[3].

ففي الآية دليل على أنّ الملائكة اعترضت، ولا يفهم من معنى الاعتراض أنّه دائما مذموم، بلى، لأنّ الجدل له مقاصده، وهذا ما تدلّ عليه الآيات التي وردت في الملائكة بأنّهم خلق نزهوا عن المعصية، قال تعالى:﴿ **لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[4]، وما صدق على قليلهم، صدق على كثيرهم، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ**﴾[5]، فدلت الآيات على أنّ الملائكة اعترضت بأوصاف أقرّها عليها الله تعالى في قرآنه، ففهم منها أنّ جدالها واعتراضها مقصده ليس مذموما، وما بدا للملائكة من القرائن بوحي أو بغيره استلزم طلبا واستفسارا من الله خالقهم، وكيف يغيب عنهم قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** ﴾[6]، ولذا قال أبو الفرج الحنبلي:" وهذا منهم

---

[1] أبو الفرج ناصر الدين بن الحنبلي – استخراج الجدال من القرآن الكريم- ص:57

[2] سورة البقرة30

[3] سورة البقرة34

[4] سورة التحريم06

[5] سورة الأنبياء19-20

[6] سورة يس79

استدلال بالترجيح والأولوية، أي: من سبّح وقدّس لك هو أولى بالإيجاد والجعل فيها ممّن يفسد فيها ويسفك الدماء، وكان جواب الله لهم الترجيح أيضاً من جهةٍ أُخرى، ولهذا لم يردّ عليهم قولهم، إذ قد علم سبحانه أن الذي ظنّوه فيهم ووصفوهم به كائن بل عدَل الله سبحانه إلى أمر مجملٍ فقال: ﴿**إِنِّي أَعْلَمُ ما لاَ تَعْلَمُونَ**﴾، من ترتيب خلقي وتدبير صنعي المحوط بالحكمة "[1]، ولله دَرّ الفخر الرازي في ردّه للشبه التي أمكن أهل الأهواء الطعن في الملائكة من سؤالهم هذا، فقال في أحد ردوده:" وَثَانِيهَا: أَنَّ إِيرَادَ الْإِشْكَالِ طَلَبًا لِلْجَوَابِ غَيْرُ مَحْذُورٍ فَكَأَنَّهُمْ قَالُوا إِلَهَنَا أَنْتَ الْحَكِيمُ الَّذِي لَا يَفْعَلُ السَّفَهَ الْبَتَّةَ، وَنَحْنُ نَرَى فِي الْعُرْفِ أَنَّ تَمْكِينَ السَّفِيهِ مِنَ السَّفَهِ سَفَهٌ ؛ فَإِذَا خَلَقْتَ قَوْمًا يُفْسِدُونَ وَيَقْتُلُونَ وَأَنْتَ مَعَ عِلْمِكَ أَنَّ حَالَهُمْ كَذَلِكَ خَلَقْتَهُمْ وَمَكَّنْتَهُمْ وَمَا مَنَعْتَهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَهَذَا يُوهِمُ السَّفَهَ وَأَنْتَ الْحَكِيمُ الْمُطْلَقُ فَكَيْفَ يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ؛ فَكَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ أَوْرَدُوا هَذَا السُّؤَالَ طَلَبًا لِلْجَوَابِ"[2].

أمّا إبليس فلا ينطبق عليه ما انطبق على الملائكة، ولا يهمّنا هل هو من جنسهم أم ليس من جنسهم، بل ما وقع منه وما أوعد ذريّة آدم أمام الله تعالى هو المهمّ، واعتراضه وعدم سجوده هو عصيان لمن اتصف بالحكمة سبحانه وتعالى أولا، ثمّ الاعتراض الذي أورده قد هو تصميم وإفتاء منه، قال الطاهر بن عاشور:" وَالْمَعْنَى أَنَّهُ اسْتَكْبَرَ عَلَى اللَّهِ بِإِنْكَارِ أَنْ يَكُونَ آدَمُ مُسْتَحِقًّا لِأَنْ يَسْجُدَ هُوَ لَهُ إِنْكَارًا عَنْ تَصْمِيمٍ لَا عَنْ مُرَاجَعَةٍ أَوِ اسْتِشَارَةٍ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ آيَاتٌ أُخْرَى "[3]، وقال أبو الفرج الحنبلي:" وإبليس أفتى ودلَّ في مسألته فانقطع في مجادلته وخسر في كَرَّته وبيان فساد تعليله، وإزاغته عن الصواب في تأويله"[4].

4/ الاستدلال القرآني وعلاقته بالجدل:

القرآن الكريم منهجه فريد في الاستدلال على مخالفيه، انطلاقا من المسلَّمات أو البدَهيات ووصولا إلى الإقناع أو التعجيز، والاستدلال أعني به إيراد الدليل أو طلبه من خصومه، وهو أهمّ ركن في أركان

[1] أبو الفرج ناصر الدين بن الحنبلي – استخراج الجدال من القرآن الكريم- ص:57

[2] الرازي- مفاتيح الغيب-ج2- ص:390

[3] الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير-ج1-ص:424

[4] أبو الفرج ناصر الدين بن الحنبلي – استخراج الجدال من القرآن الكريم- ص:60

المناظرة والجدل، والتنوّع في عرض الأدلة منهج قرآني أظهره الله لأنبيائه في إثبات رسالاته، وجعله سنّة للأمة المحمدية في الذبّ عن حياض الشريعة، والأدلة لا تخرج عن أمرين ، إمّا نقلية أو عقلية أو جمعا بينهما، والغالب المستعمل في القرآن الاستدلال العقلي، لأنّ العقل مناط التكليف، قال الشاطبي:" الْأَدِلَّةُ الشَّرْعِيَّةُ ضَرْبَانِ:

أَحَدُهُمَا:أَنْ يَكُونَ عَلَى طَرِيقَةِ الْبُرْهَانِ الْعَقْلِيِّ؛ فَيُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى الْمَطْلُوبِ الَّذِي جُعِلَ دَلِيلًا عَلَيْهِ، وَكَأَنَّهُ تَعْلِيمٌ لِلْأُمَّةِ كَيْفَ يَسْتَدِلُّونَ عَلَى الْمُخَالِفِينَ، وَهُوَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ مَوْضُوعٌ لِذَلِكَ، وَيَدْخُلُ هُنَا جَمِيعُ الْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهَا؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾[1] "[2]

وغلبة الحقّ وزهوق الباطل هو الغرض الأسمى من الجدال القرآني، وهو مقصد من مقاصد السور في أغلبها، ولذا الاستدلال على الحقّ هو أهمّ ركن في الجدل القرآني ليحصل الإقناع للمعارض، ويدحض دليل الناقض، والخصوم التي جادلها القرآن اشتركت في وجه المعارضة، وافترقت في دليل المناقضة، كالمشركين، وأهل الكتاب والمنافقين، ومن استنّ بسنتهم من بعدهم، وما دام هذا القرآن عربي اللسان والبيئة لم يخرج عن أصول الاستدلال والمخاطبة، فامتاز بمميزات، قال السيوطي:" قَدِ اشْتَمَلَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ عَلَى جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْبَرَاهِينِ وَالْأَدِلَّةِ وَمَا مِنْ بُرْهَانٍ وَدَلَالَةٍ وَتَقْسِيمٍ وَتَحْذِيرٍ يُبْنَى مِنْ كُلِّيَّاتِ الْمَعْلُومَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَالسَّمْعِيَّةِ إِلَّا وَكِتَابُ اللَّهِ قَدْ نَطَقَ بِهِ لَكِنْ أَوْرَدَهُ على عادة الْعَرَبِ دُونَ دَقَائِقِ طُرُقِ الْمُتَكَلِّمِينَ لأمرين:

أحدهما: بِسَبَبِ مَا قَالَهُ تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ**﴾[3]

والثاني: أنّ المائل إلى طريق الْمُحَاجَّةِ هُوَ الْعَاجِزُ عَنْ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ بِالْجَلِيلِ مِنَ الْكَلَامِ ، فَإِنَّ مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَفْهَمَ بِالْأَوْضَحِ الَّذِي يَفْهَمَهُ الْأَكْثَرُونَ لَمْ يَنْحَطَّ إِلَى الْأَغْمَضِ الَّذِي لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا الْأَقَلُّونَ،

[1] سورة الْأَنْبِيَاءِ: 22

[2] الشاطبي- الموافقات-ج3- ص:247

[3] سورة إبراهيم04

وَلَمْ يَكُنْ مُلْغِزًا فَأَخْرَجَ تَعَالَى مُخَاطَبَاتِهِ فِي مُحَاجَّةِ خَلْقِهِ فِي أَجْلَى صُورَةٍ لِيَفْهَمَ الْعَامَّةُ مِنْ جليلها مَا يُقْنِعُهُمْ وَتَلْزَمُهُمُ الْحُجَّةُ وَتَفْهَمَ الْخَوَاصُّ مِنْ أَثْنَائِهَا مَا يُرَبِّي عَلَى مَا أَدْرَكَهُ فَهُمْ الْخُطَبَاءِ"[1].

1.4 من مسالك القرآن في الاستدلال جدالا للخصوم:

واستنبط العلماء من القرآن الكريم عدّة مسالك انتهجها القرآن في الردّ على الخصوم، ولا سيما ما أوردوه من اعتراضات وشُبه على العقيدة، ومن الأنواع المصطلح عليها في علم الجدل منها:

أ/ السبر والتقسيم[2]

وهو باب من أبواب الجدل، يتخذه المجادل سبيلا لإبطال دعوى من يخاصمه، فيكون بحصر الأوصاف وجمعها للموضوع الذي يجادل فيه، ثمّ بيّن أنّ هذه الأوصاف خاصيّة تصلح لقبول دعوى الخصم، فتبطل دعواه[3]. وقد ذكر السيوطي من أمثلة القرآن قوله تعالى:" ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾"[4]، قال:" فَإِنَّ الْكُفَّارَ لَمَّا حَرَّمُوا ذُكُورَ الْأَنْعَامِ تَارَةً وَإِنَاثَهَا أُخْرَى، رَدَّ تَعَالَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِطَرِيقِ السَّبْرِ وَالتَّقْسِيمِ فَقَالَ: إِنَّ الْخَلْقَ لِلَّهِ خَلَقَ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ مِمَّا ذَكَرَ ذَكَرًا وَأُنْثَى فَمِمَّ جَاءَ تَحْرِيمُ مَا ذَكَرْتُمْ؟ أَيْ مَا عِلَّتُهُ؟ لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ جِهَةِ الذُّكُورَةِ أَوِ الْأُنُوثَةِ أَوِ اشْتِمَالِ الرَّحِمِ الشَّامِلِ لَهُمَا أَوْ لَا يَدْرِي لَهُ عِلَّةً وَهُوَ التَّعَبُّدِيُّ بِأَنْ أُخِذَ ذَلِكَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى

[1] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج4- ص:60

[2] المصدر نفسه- ج4- ص:63

[3] زاهر عواض الألمعي- مناهج الجدل في القرآن الكريم- ط1-1399-وط2-1400، وط3-1404هـ- ص:75

[4] سورة الانعام143-144

وَالْأَخْذُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى إِمَّا بِوَحْيٍ وَإِرْسَالِ رَسُولٍ أَوْ سَمَاعِ كَلَامِهِ وَمُشَاهَدَةِ تَلَقِّي ذَلِكَ عَنْهُ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾"[1].

أي: هذا تناقض منهم، إذا الخلق خلق الله، فإمّا احتمل أن يكون الصنف الأول حراما أو الثاني حراما أو معا، وهذا كلّه منفي عندهم، فثبت افتراؤهم، فبطلت دعواهم ببطلان هذه الأوصاف ، وهو ادّعاء دون دليل، وقد قال تعالى في حقّهم: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[2] .

ب/ **الاستفهام التقريري**[3]:

والاستفهام وقع كثيرا في القرآن الكريم بأنواعه، وله أغراضه ، والمستعمل في الجدل غرضه الأخذ بالمقدّمات للوصول إلى النّهايات، وهي الانقياد والتسليم، قال الألمعي:" وهذا النوع من أحسن جدل القرآن بالبرهان، فإنّ الجدل إنّما يشترط فيه أن يسلّم الخصم بالمقدّمات، أو أن تكون بيّنة معروفة، فإذا كانت بيّنة معروفة كانت برهانية"، ومن الأمثلة عن ذلك، قوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾[4]، وقوله تعالى:﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾[5]"[6].

[1] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج4- ص:64

[2] سورة النحل116

[3] زاهر عواض الألمعي- مناهج الجدل في القرآن الكريم- ص:77

[4] سورة يس81

[5] سورة الطور35

[6] زاهر عواض الألمعي- مناهج الجدل في القرآن الكريم-ص:77

ج/ مجاراة الخصم[1]:

وذلك بأن يُسَلِّمَ بَعْضَ مُقَدِّمَاتِهِ حَيْثُ يُرَادُ تَبْكِيتُهُ وَإِلْزَامُهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ** ﴾[2]، فالرسل ذهبوا مذهب الخصم، فاعترفوا لهم بأنّهم رسل مثلهم، ولكن يمنّ الله على من يشاء بالاصطفاء، وأمّا طلبكم فلن يكون إلّا بوحي من عند الله، وهذا دليل الإرسال[3]، **قال تعالى:**﴿ **قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ**﴾[4].

د/قياس الخُلْف[5].

وهذا قد نسميه أيضا برهان التناقض، وهو دليل على وحدانية الله تعالى، وهو تمانع في حال وجود إلهين اثنين، قال تعالى :﴿ **لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[6]، وما دام هذا الكون يجري بنظام لا اختلال فيه، دلّ على وجود إله واحد،" وذلك أنّ النقيضين لا يجتمعان، ولا يخلو المحلّ من أحدهما، كالمقابلة بين الوجود والعدم"[7].

---

[1] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج4- ص66

[2] سورة إبراهيم10

[3] ينظر: السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج4- ص66

[4] سورة إبراهيم11

[5] زاهر عواض الألمعي- مناهج الجدل في القرآن الكريم-ص:78

[6] سورة الأنبياء23

[7] زاهر عواض الألمعي- مناهج الجدل في القرآن الكريم-ص:79

هـ/**الانتقال:** و أَنْ يَنْتَقِلَ الْمُسْتَدِلُّ إِلَى اسْتِدْلَالٍ غَيْرِ الَّذِي كَانَ آخِذًا فِيهِ لِكَوْنِ الْخَصْمِ لَمْ يَفْهَمْ وَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنَ الْأَوَّلِ كَمَا جَاءَ فِي مُنَاظَرَةِ الْخَلِيلِ الْجَبَّارَ[1] لَمَّا قَالَ لَهُ: ﴿ **رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ**﴾[2].

أي: أنّ الانتقال من استدلال إلى استدلال آخر في حالة عدم فهم وجه موضوع الجدال، وهنا إبراهيم انتقل من الحِجاج في الإحياء والإماتة التي اختص بها الله، والتي إذا عرفها الناس سلّموا للمعاد المرتجى، عن الإحياء والإماتة القاصرة على فهم سقيم، فغيّر الاستدلال إلى الإتيان بالشمس من المشرق إلى المغرب، حتى يسلّم الخصم، لأنّه لو ادّعى ذلك، لقال له إبراهيم عليه السلام آت بها الآن، وهذا مستبعد، ولذا بهت الذي كفر، وهذا أراه أحسن مناهج الجدل، وإن كان الاستدلال وتنويعه يتطلبه المقام والحال.

والاستدلال القرآني أنواعه كثيرة ذكر بعضها الطوفي والسيوطي، والباحث زاهر عواض الألمعي، فليرجع إليهم.

5/خصائص الجدل القرآني:

المعلوم أنّ القرآن الكريم منتهى الكلام فيه على إعجازه، وهو الذي يستمدّ منه قوة تأثيره على النفوس والعقول، والإعجاز رأس الأمر فيه لغته وبيانه، ومنه أسلوبه في التحدّي، سردا للحجج، إبقاء على الأصل- الإعجاز-، وسبيل ذلك في الجدال مع المخالفين له، والصادّين عن سبيله القويم، وممّا تميّز به أسلوبه الجدلي:

أ/ **قوّة الحجة ووضوح المحجة** [3]: وهذا أظهر وأبين للمتدبّر في كتاب الله، في جداله للمشركين والمنافقين وأهل الكتاب، فقوّة الحجّة هي عين التبكيت، ووضوح المحجّة هي غاية الانقياد والتسليم

[1] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج4- ص65

[2] سورة البقرة258

[3] عثمان علي حسن- الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد-دار إشبيليا-الرياض- السعودية-ط1-1420-1999م- ج1- ص:381

له، ثبوت الطرح من بداية الجدل إلى نهايته، لا اضطراب ولا دوران، وهذا فارق بينه وبين كلام البشر.قال تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1].

ب/ التدرّج والتنوع في المجادلة :

وممّا امتاز به القرآن الكريم في المناظرة أنّه يتدرّج في تقرير موضع الجدال، ليأخذ بالخصم فلا يفلته، فينطلق من المقدمات، فيجاري فيه الخصم أو يأخذ بلازم كلامه، ثمّ يفتك بحججه، وينوّع من أساليبه الجدالية، وإن كان الموضوع واحدا، وسنضرب مثالا في الاستدلال على البعث والمعاد فيما يأتي.

ج/ التركيز على العقل في الجدال:

فالعقل هو جوهر العملية الجدالية، فهناك قوانين لا يمكن التنازع فيها ولا الاختلاف، كإلحاق الفرع بأصله، وجمع المتناقضين، وجمع المتماثلات، ولهذا ذمّ الله الذين يجادلون في الله بغير حجة، لا من كتاب ناطق، ولا من عقل صادق [2]، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾[3].

وهذا الأسلوب جادل به إبراهيم نفسه في حواره معها، وقومه وأبيه، و الملك الجبّار في وقته، وأثبت به قرعه لمن حاججهم.

د/سُمُو ثمرة مقام الجدل القرآني:

وأجدِر بالقرآن الكريم في مقاماته الدعوية والجدالية، فلا ثمرة غير ثمرة الهداية ، وإن تضمّن التبكيت

[1] سورة فصلت 42

[2] عثمان علي حسن- الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد -ج1- ص:392

[3] سورة الحج08

وإفحام الخصوم، وهذا من كمال التنزيه الإلهي، إذ التفرّد جارٍ في كلّ الأحوال، وهذا الفارق بينه وبين الجدل البشري، إذ لا تموت فيه الحظوظ النفسية، وإن لم تنطق به الأفواه، وما وقفت عليه من آيات الجدال من أغراض إلّا ولها علاقة بخدمة مقاصد الكتاب الكبرى، وأهمّها التعريف بالخالق والدعوة إليه، وإقرار الرسالات بالإيمان بالرسل، وأحوال الآخرة ومقتضياتها.

6/ الاستدلال القرآني على المعاد الجسماني:

جادل القرآن الكريم المشركين وأهل الكتاب والمنافقين وغيرهم، واتّخذ مع كلّ طائفة منهم منهجا جدليا راعى فيه بيئة الحطاب وأحوال الخطاب ومقاماته، إذ من كانوا أصحاب كتاب ارتقى معهم الجدال وَفق ما أثر عن جدال أنبيائهم في زمن سابق لعهد النّبوة، فكان غالبه جدال وحي منزَّل، والمنافقون يصبحون مع المسلمين ويمسون مع أوليائهم من الشياطين، فكان جدالهم جدال فضح وكشف، أمّا المشركون المكّيون فلبسوا الحق بباطل الخرافات والاعتقادات الفاسدة، فكان الجدال جدال قرع عقلي ليناسب أحوال تفكيرهم، ومن المسائل التي شدّت عقولهم مسألة البعث، فكان القرآن الكريم يسْدل ثوب الحجّة على مزاعمهم في كلّ مرة، فكان منهجا فريدا في الاستدلال على البعث والمعاد. ومن هذه الضروب:

أ/ التذكير بالإخراج من العدم إلى الوجود:

في قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا أَوَ لَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾[1] ، ومثله في قوله تعالى: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[2]، المرادُ ها هنا أُبَي بن خلفٍ. وقيل العاص بن وائلٍ [3]، وهذا أهون لو كانوا يعقلون،

[1] سورة مريم66

[2] سورة النحل04

[3] أبو الفرج ناصر الدين بن الحنبلي – استخراج الجدال من القرآن الكريم- ص:91

فالإشارة إلى الإيجاد من العدم أجدر بالسؤال من الإخراج بعد الإيجاد، وهي حجّة منطقية للاستدلال على القدرة الإلهية أكثر من سابقتها المطروحة.

ب/ قياس الإعادة على خلق السموات والأرض بطريق أولى[1]:

وهذا يسمّى استدلالا مع الفارق، وهو أنّ العقل يسلّم لاندراج الأصغر داخل الأكبر، وهذا من مقتضيات الشدّ العقلي، وهو مناسب لبيئة الخطاب، أي: بالنّظر لما يحيط بهم، فالأرض لهم وطاء والسماء لهم غطاء، وأنفسهم أولى بقياس النظر والتدبّر ، قال تعالى :﴿ **أَوَ لَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ** ﴾[2]، فالأولى أن يمعنوا النّظر في خلق السموات والأرض، فتخبت عقولهم لقدرة الله، فيكون خلق الأصغر- الناس- أهون في الإعادة مرات ومرات .قال تعالى: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ**﴾[3].

ج/قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها[4]:

وهذا الدليل هو أقيس الأدلة وسيّد البراهين التي استعملها القرآن الكريم في التدليل على المعاد والبعث، وهو واقع في مواطن كثيرة من سور القرآن، وهو أبلغ في التأثير، وأكرّر أنّ القرآن يراعي حال المخاطب، فالجدال يحتاج إلى أرض خصبة ليؤتي أُكله، فالعرب أكثرهم رعاة، وقليلهم تجّار، والبحث عن الكلأ لدوابهم شغلهم الشاغل، وهذا أسلوب فريد للقرآن في ضرب الأمثال وإعطاء صور من واقع الناس المعاش، فالله ضرب مثل إعادة الإحياء بعد الموت بإحيائها بعد الجدب ، قال تعالى:﴿ **ٱللَّهُ**

[1] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج4- ص62

[2] سورة يس81

[3] سورة الروم27

[4] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج4- ص62

﴿ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[1].

د/ قياس الإعادة على إخراج الحي من الميت والميت من الحي

وهذا ما أشار إليه سبحانه وتعالى في سورة "يس" بقوله تعالى:﴿ **أَوَ لَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ**﴾[2].

وهذا الاستدلال تابع للاستدلال الأول، وهو أنّها نزلت في أُبي بن خلف وقيل العاص بن وائل، فالإشارة إلى إحيائها مرة أخرى لأنّه موجدها ابتداء استدلال أوّل، والثاني الذي نقصده في هذا الموضع تتمّة الآية، فأشار الله إلى الشجر الأخضر، قال أبو الفرج الجنبلي:" إيجاد شيءٍ ممّا ينافيه وينافره، فلا بدّ من قوّةٍ من خارج تغلب على المتنافرين المتنافيين بفعل ذلك "[3]، أي: معناه: كيف تستبعد عقولكم الإعادة الإحياء بعد الإماتة، وعندكم دليل لم تتفكروا فيه وأنتم تقيمون عليه موائدكم، وهو أنّ الشجر يكون أخضرا فيصيره الله يابسا، والعكس، فأنىّ تؤفكون.

وهذا الذي ذكرته في الاستدلال على المعاد أهمّ ما استأثرت وروده في الباب، ولو استزدْتَ التفتيش في آي الكتاب لزادك، ومع هذا أقرّ القرآن الكريم إنكارهم وعتوّهم ، استكبارا وعلوّا وعجبا،

[1] سورة فصلت39

[2] سورة يس78-79

[3] أبو الفرج ناصر الدين بن الحنبلي – استخراج الجدال من القرآن الكريم- ص:92

والعجب من قولهم، قال تعالى: ﴿ **وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ**﴾[1]، ولم يكن لمنكرٍ شبهةٍ إلاّ مجرّد تعجب واستبعاد ، لأنَّ العجب ما ندر وجوده وخفي سببه، وليس هذا ممّا ندر وهم يشاهدون إحياء الأرض بعد موتها واكتساءَ الأشجار بعد عُريها، وعود النهار بعد زواله والليل بعد ذهابه، وإخراج الحي من الميت والميت من الحي ولا ممّا خفي سببه، فإنّ الله سبحانه هو الفاعل لذلك ، والمخترع له والقادر عليه، وحكمته إظهار ما استتر عن خلقه من تدبيره، وما النشأة الثانية بأعجب من الأولى[2].

[1] سورة الرعد05

[2] أبو الفرج ناصر الدين بن الحنبلي – استخراج الجدال من القرآن الكريم- ص:98

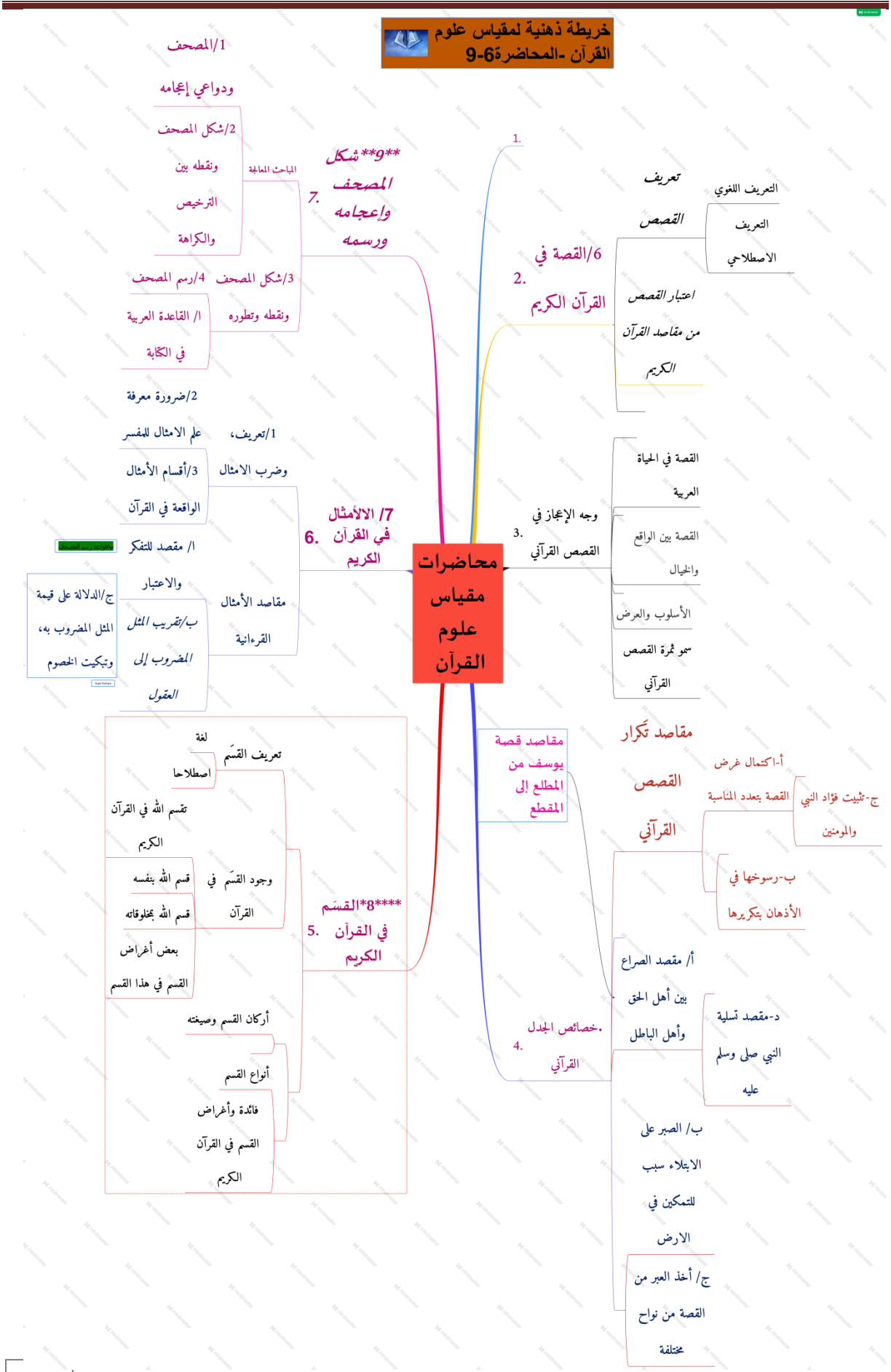
خريطة ذهنية لمقياس علوم القرآن -المحاضرة6-9
محاضرات مقياس علوم القرآن
1.
تعريف القصص
التعريف اللغوي
التعريف الاصطلاحي
2. 6/القصة في القرآن الكريم
اعتبار القصص من مقاصد القرآن الكريم
3. وجه الإعجاز في القصص القرآني
القصة في الحياة العربية
القصة بين الواقع والخيال
الأسلوب والعرض سمو ثمرة القصص القرآني
4. خصائص الجدل القرآني
مقاصد قصة يوسف من المطلع إلى المقطع
مقاصد تكرار القصص القرآني
أ/ مقصد الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل
ب/ الصبر على الابتلاء سبب للتمكين في الارض
ج/ أخذ العبر من القصة من نواح مختلفة
أ-اكتمال غرض القصة بتعدد المناسبة
ب-رسوخها في الأذهان بتكريرها
ج-تثبيت فؤاد النبي والمومنين
د-مقصد تسلية النبي صلى وسلم عليه
5. القسَم في القرآن الكريم
تعريف القسَم
لغة
اصطلاحا
وجود القسَم في القرآن
تقسم الله في القرآن الكريم
قسم الله بنفسه
قسم الله بمخلوقاته
بعض أغراض القسم في هذا القسم
أركان القسم وصيغته
أنواع القسم
فائدة وأغراض القسم في القرآن الكريم
6. الأمثال في القرآن الكريم
مقاصد الأمثال القرءانية
ج/الدلالة على قيمة المثل المضروب به، وتبكيت الخصوم
ب/تقريب المثل المضروب إلى العقول
ا/ مقصد للتفكر والاعتبار
وضرب الامثال
1/تعريف،
2/ضرورة معرفة علم الامثال للمفسر
3/أقسام الأمثال الواقعة في القرآن
7. شكل المصحف واعجامه ورسمه
المباحث المعالجة
1/المصحف ودواعي إعجامه
2/شكل المصحف ونقطه بين الترخيص والكراهة
3/شكل المصحف ونقطه وتطوره
4/رسم المصحف
ا/ القاعدة العربية في الكتابة

المحاضرة السادسة: القصة في القرآن الكريم

القرآن الكريم تظهر أوجه الإعجاز فيه في كلّ موضوع تحدّث عنه، فأتى على حدوده وأطرافه فاستوعبها وشملها، فسدّ بذلك فم كلّ طاعن، وأورده بأسلوب مغاير للمألوف، فأفسد لسان كلّ مفترٍ مُوهن، وموضوع القصص ما يشدّ عقل المتدبّر، فخرج به القرآن من بيئة الخطاب وعهد الأمّيين، وارتقى به إلى مقصد المتدبّرين المتفكّرين، فما وجه الإعجاز في القصص القرآني، وما هي مقاصده؟

1/ تعريف القصص:

القصص واحده قصة، وهو بالفتح والكسر، قال ابن منظور:" والقِصّة: الْخَبَرُ وَهُوَ القَصَصُ. وَقَصَّ عَلَيَّ خبَره يقُصُّه قَصّاً وقَصَصاً: أَوْرَدَه. والقَصَصُ: الخبرُ المَقْصوص، بِالْفَتْحِ، وُضِعَ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ حَتَّى صَارَ أَغْلَبَ عَلَيْهِ. والقِصَص، بِكَسْرِ الْقَافِ: جَمْعُ القِصّة الَّتِي تُكْتَبُ"[1].

قال الفخر الرازي:" الْقَصَصُ إِتْبَاعُ الْخَبَرِ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَأَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ الْمُتَابَعَةُ قَالَ تَعَالَى :﴿ **وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ**﴾**[الْقَصَصِ: 11]**، أَيِ: **اتْبِعِي أَثَرَهُ، وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿ **فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا**﴾ **[الْكَهْفِ: 64]**، أَيِ: اتِّبَاعًا وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الْحِكَايَةُ قَصَصًا ، لِأَنَّ الَّذِي يَقُصُّ الْحَدِيثَ يَذْكُرُ تِلْكَ الْقِصَّةَ شَيْئًا فَشَيْئًا"[2].

ب/القصة في الاصطلاح: لها تعاريف كثيرة كلّها متقاربة منها:

- **تعريف الرازي:**" وَالْقَصَصُ هُوَ مَجْمُوعُ الْكَلَامِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى مَا يَهْدِي إِلَى الدِّينِ، وَيُرْشِدُ إِلَى
-

[1] ابن منظور- لسان العرب- ج7- ص:47- مادة[قص]

[2] الفخر الرازي- مفاتيح الغيب- ج18- ص:417

الْحَقِّ وَيَأْمُرُ بِطَلَبِ النَّجَاةِ"[1]

- **تعريف محمد الطاهر بن عاشور:**" **الْقِصَّةُ**: الْخَبَرُ عَنْ حَادِثَةٍ غَائِبَةٍ عَنِ الْمُخْبَرِ بِهَا، فَلَيْسَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ ذِكْرِ الْأَحْوَالِ الْحَاضِرَةِ فِي زَمَنِ نُزُولِهِ قَصَصًا مِثْلَ ذِكْرِ وَقَائِعِ الْمُسْلِمِينَ مَعَ عَدُوِّهِمْ"[2].

والفرق بين التعريفين أنّ ابن عاشور جعل الزمن شرطا في القصص ، اعتبارا لمعنى التتبّع، بعكس الفخر الرازي، فكلّ ما يتّعظ به الإنسان وينجيه من الكلام في الماضي أو الحاضر أو المستقبل كالغيبيات يعدّ من القصص.

2/اعتبار القصص من مقاصد القرآن الكريم:

ومقاصد القرآن الكريم هي محاوره الكبرى التي جاء القرآن ليحققها إيمانا وعملا، كالعقيدة، وفيها الإلهيات والنبوات، والأحكام، والتزكية، والمبعث والنشور، ومنها القصص القرآني، فقد أخذ القصص جزءا مهمّا من القرآن الكريم في سوره، دلّ بمفهومه ومنطوقه أنّ القصص من مقاصده، وكيف وهو خادم للمقصد الإلهيات والنبوات، والخلْف في هل هو مقصد أصل أو تابع ليس له كبير فائدة ما دام أنّ العبرة بالثمر لا بالزهر. ومن الأدلّة على مقصديته:

قوله تعالى:﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ**﴾[3]

وقوله تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[4]

[1] المصدر السابق- ج8- ص:250

[2] الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير- ج1- ص:64

[3] سورة آل عمران 62

[4] سورة الأعراف176

وقوله تعالى:" ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾[2]

والآيات بمجموعها تدلّ على أنّ القصص القرآني من مقاصده، إذ هو وجه من أوجه إعجاز القرآن، وسنبيّن ذلك فيما يأتي، وللعلماء الذين كتبوا في مقاصد القرآن إشارة إلى مقصد القصص، منهم.

1.2/أبو حامد الغزالي:

أبو حامد الغزالي من المقعّدين لمقاصد القرآن ومقاصد الشريعة على اعتبار التأليف استقلالا، وإلّا عددنا الأحكام الشرعية جزءا من مقاصد القرآن الكبرى، والغزالي قسّم مقاصد القرآن إلى ستّة أقسام ثلاثة مهمة وثلاثة مغنية متمّمة [3]، وجعل القصص ضمن الثلاثة المتمّمة، قال:" وأما الثلاثة المغْنِيَة المتِمَّة:

- **فأحدها:** تعريف أحوال المجيبين للدعوة ولطائف صُنع الله فيهم؛ وسِرُّهُ ومقصودُه التشويقُ والترغيبُ، وتعريفُ أحوال النَّاكبين والنَّاكلين عن الإجابة وكيفيةُ قمعِ الله لهم وتنكيلِهِ لهم؛ وسِرُّهُ ومقصوده الاعتبار والترهيب.

وثانيها: حكاية أحوال الجاحدين، وكَشْفُ فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمحاجَّة على الحق، وسِرُّه ومقصوده في جنب الباطل الإفضاحُ والتَّنْفير، وفي جَنب الحق الإيضاحُ والتَّثْبيتُ والتَّقهير"[4].

---

[1] سورة يوسف03

[2] سورة يوسف111

[3] للاستزادة والتوسع، يراجع، أبو حامد الغزالي- جواهر القرآن- تح: محمد رشيد رضا القباني- دار إحياء العلوم- بيروت-ط2- 1406-1986م- ص:23-24

[4] المصدر نفسه- ص:23-24

وهذا الذي أشار إليه من أحوال المحيين والجاحدين هو ضمن القصص القرآني، فهو بيّن أحوال الفريقين، والصراع القائم بين أهل الحقّ والباطل، وعاقبة كلّ فريق منهم، ولذا قال في شرحه لها:" أمّا أحوال السَّالكين: فهي قَصَصُ الأنبياء والأَوْلياء، كقصة آدمَ ونوح، وإبراهيمَ وموسى وهَارون، وزكريا ء ويحيى.... وأما أحوالُ الجاحدين والنَّاكبين: فهي كقَصَصِ نمرودَ وفرعون، وعادٍ وقَومِ لوط، وقَومِ تُبَّع، وأصحابِ الأَيْكَة، وكفارِ مَكَّة"[1].

2.2/جلال الدين السيوطي:

والسيوطي أشار إلى مقصد القصص في سياق حديثه عن مقاصد سورة الفاتحة، وأورد أنّ العلوم التي احتوى عليها القرآن وقامت بها الأديان أربعة، وفصّل في التقسيم بعدد آي الفاتحة، فقال:" وَعِلْمُ الْقَصَصِ وَهُوَ الِاطِّلَاعُ عَلَى أَخْبَارِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ لِيَعْلَمَ الْمُطَّلِعُ عَلَى ذَلِكَ سَعَادَةَ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَشَقَاوَةَ مَنْ عَصَاهُ وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿ **صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ**﴾، فَنَبَّهَ فِي الْفَاتِحَةِ عَلَى جَمِيعِ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ"[2].

2.3/محمد الطاهر بن عاشور:

يعتبر محمد الطاهر بن عاشور من المجدّدين في علم المقاصد الشرعية، ضبطا لطرق استنباطها، وكيفية الكشف عنها، وآفاق البحث فيها، والذي يهمّنا هو تقسيمه لمقاصد القرآن، فقد اعتبر القصص من مقاصده الكبرى، والمطّلع على مقدّمة تفسيره يظهر له الأسرار التي التمسها لمقصد القصص، قال في تقسيمه:" **الْخَامِسُ:**
الْقِصَصُ وَأَخْبَارُ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ لِلتَّأَسِّي بِصَالِحِ أَحْوَالِهِمْ **قَالَ:**﴿ **نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ**﴾

[1] أبو حامد الغزالي- جواهر القرآن - ص:31

[2] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج3- ص:364

، وقال تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾[1]، وَلِلتَّحْذِيرِ مِنْ مَسَاوِيهِمْ ، قَالَ:﴿ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ﴾[2] "[3].

3/ وجه الإعجاز في القصص القرآني:

القرآن الكريم يظهر إعجازه في القصص القرآني من حيث مقصد القصة الواردة وثمرتها، وكيفية سرد موضوع القصة، والعناصر القائمة عليها، وتَكرار القصة في سور كثيرة، والسؤال المتبادر، هل العرب عرفت القصص من قبل؟ و ما الذي تفرّد به القرآن في عرض القصص، الذي هو سرّ الإعجاز فيه؟

أ/ القصة في الحياة العربية[4]:

معرفة القصة في الحياة العربية يُعيننا على إدراك سرّ الإعجاز في القصص القرآني، لأنّ القرآن بينه وبين بيئة الخطاب رحم ماسّة[5]، وهذا دالّ بمفهومه على أنّ العرب عرفت القصص من قبل، سواء ما كان من أيامها، أو ما تلقفته من أهل الكتاب والقرون السالفة لها.

يقول عبد الكريم الخطيب:" فإنّ حياة الأمة العربية كانت قصة طويلة مثيرة، في صراعها العنيف المرير مع الحياة ومطالب العيش من جهة ، وفي صراعها الدامي المتّصل فيما بين أفرادها وجماعاتها من جهة أخرى"[6]

وخطب العرب فيما أثر عنها، ومساجلاتهم من شعر ونثر دوّنت قصصهم الأصيلة والدخيلة، إذ تعدّ القصة جزءا من الحياة البشرية، فسجلوا استقرارهم وترحالهم، وسلْمهم ونفارهم، والأباطيل

[1] سورة الأنعام90

[2] سورة إبراهيم 45

[3] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج1- ص:.41

[4] عبد الكريم الخطيب- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه- دار المعرفة- بيروت- لبنان- ط2-1395هـ-1975م-ص:13

[5] المرجع نفسه- ص:13

[6] المرجع نفسه- ص:15

كالغول والعنقاء، ولكن وجه الإعجاز يظهر في عناصر القصة وغايتها. ومنها:

ب/ القصة بين الواقع والخيال:

القصة والخبر المقصوص في القرآن الكريم كلّه صدق وحقّ، ونسميه حقيقة؛ لأنّه طابق الواقع نقلا وعقلا، ولو كان مفترى كما زعم بعض المتكبّرين عن الحق من المشركين، لعارضه من أثبت أقوالهم القرآن في ردوده عليهم وهم من رؤوس الشرك، ومن أهل الكتاب، فلم يزد القرآن عما افتروه، وبما وصفوا به أنبياءهم، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾[1]، قال الرازي في تفسيره:" فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ لِيَكُونَ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، وَالْخِطَابُ وَإِنْ كَانَ مَعَهُ فَالْمُرَادُ بِهِ الْكُلُّ"[2].

فأنت ترى كيف جعل الله وصف الحقّ ملازما للخبر المقصوص، وهذا ينطبق على كلّ قصة وخبر في القرآن الكريم، لأنّ التنازع هو بين الحق والباطل، ولا يغلب الحقّ الباطل، إلّا إذا كان هذا الوصف في كلّ موضوعات القرآن الكريم، والقرآن وإن لم يكن كتاب تاريخ، سجّل صدق الزمان والمكان والأحداث، أمّا القصة العربية والأخبار، ففيها ما هو حقّ وما هو باطل ومنها نسج خيال، وفيها الادّعاء بالزيادة على الحق نفسه، وهذا هو الفارق بين كلام الله وغيره.

ج/ الأسلوب والعرض

وهذا ما راعى فيه القرآن بلاغة القوم من جهة، وتفنّن فيه من جهة أخرى، فعرض القصة بأسلوب موجز بعيد عمّا تمجّه الآذان من إطناب، فاقتصر فيه على المهمّ ليصل إلى الأهمّ، وتفرّد في سموّ أسلوب العرض بحيث لا يسأم السامع، فيشدّ ذهنه تسلسل الوقائع والأحداث، وهذا وصف آخر للكتاب قال تعالى: ﴿ **نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ**

[1] سورة آل عمران 62

[2] الرازي- مفاتيح الغيب- ج8- ص:250

﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[1] . قال الزمخشري:" والمراد بأحسن الاقتصاص: أنّه اقتصّ على أبدع طريقة وأعجب أسلوب. ألا ترى أنّ هذا الحديث مقتص في كتب الأولين وفي كتب التواريخ، ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقارباً لاقتصاصه في القرآن. وإن أريد بالقصص المقصوص، فمعناه: نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث، وإنّما كان أحسنه لما يتضمّن من العبر والنّكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها"[2].

وهذا له ارتباط بقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾[3]، فالكل! من مشكاة واحدة، أمّا القصة العربية، فحملت الصحيح والسقيم، ولم يقتصر فيها على الأهمّ، لأنّ مقصودهم هو ذاتي، نزعة عرق، أو قبيلة أو نفس.

د/ سمو ثمرة وغاية القصص القرآني:

وهذا وصف آخر للقصص القرآني، وهو قوله تعالى: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4]، وقوله تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾[5]

أي: أنّ الغاية من القصص ليس التفكّه به، ولا الاستئناس، وإنّما ساقه الله مساق العبر والتفكّر في أحوال المقصوص خبرهم، قال الزمخشري في تفسير آية الأعراف السابقة:" لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ فيحذرون مثل عاقبته، إذ ساروا نحو سيرته، وزاغوا شبه زيغه، ويعلمون أنّك علمته من جهة الوح ي فيزدادوا إيقاناً بك وتزداد الحجة لزوماً لهم"[6].

---

[1] سورة يوسف03

[2] الزمخشري أبو القاسم- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل- دار الكتاب العربي- بيروت- ط3-1407هـ-ج2- ص:441

[3] سورة الزمر23

[4] سورة الأعراف167

[5] سورة يوسف111

[6] الزمخشري- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل- ج2- ص:179

وقال القرطبي في تفسير آية يوسف:" (عِبْرَةٌ) أَيْ :فِكْرَةٌ وَتَذْكِرَةٌ وَعِظَةٌ. (لِأُولِي الْأَلْبابِ) أَيِ:الْعُقُولِ"[1]

أمّا القصة عند العرب أو أهل الكتاب، فالمقصود منها التفكّه غالبا والاستئناس، إذ الغاية القصوى تقديس صاحب القصة، وهذا ليس مقصودا في القرآن، اللهمّ إلّا ما كان دفاعا عن الأنبياء، لأنّهم مرسلون، وهذا إثبات للنبوّة، ولذلك اختار القرآن الكريم من القصّة أجزلها، وأقواها دلالة على الغاية، وترفّع عن ما ليس فيه عائدة جليلة، ولك في سورة الكهف خير مثال، فلم يذكر لون الكلب ولا صفات الكهف ولا الفتية، لأنّ الغاية هي قوله تعالى: ﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾[2].

4/ من مقاصد القصص القرآني:

وإذا قلنا أنّ القصص القرآني له فوائد جمّة للفرد والأمّة، فلك أن تقف على هذه الفوائد استنباطا وتدبّرا في عواقب القصة في السورة الواحدة، أو في تَكرارها، وسنبيّن فيما يأتي أسرار التَّكرار للقصص، ومن الذين أبانوا عن مقاصد القصص القرآني، محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره، فقد أجاد وأفاد، وسأذكر بعض الفوائد، ثمّ أشير إلى ذلك من التحرير والتنوير.

1.4/التعريف بالحق وأهله وبالباطل وحزبه:

وهذا مقصد عامّ للقصص القرآني، فكلّ ما يأتي بعده هو خادم له، ومن تدبّر سياق القصص وقف على هذا الصراع، وقد جمع الله تعالى وأشار إليه بقوله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[3].فقد أبان الله عن

[1] القرطبي أبو عبد الله- الجامع لأحكام القرآن- تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش- دار الكتب المصرية- القاهرة- ط2- 1384هـ-1964م-ج9- ص:277

[2] سورة الكهف 13

[3] سورة الأنعام 153

عاقبة كلّ فريق منهم، وكيف يؤيّد الله وينصر من ينصر الحق ويخذل الباطل وأهله، وهذا ذكره ابن عاشور فقال:" مَعْرِفَةُ أَنَّ قُوَّةَ اللَّهِ تَعَالَى فَوْقَ كُلِّ قُوَّةٍ، وَأَنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ مَنْ يَنْصُرُهُ، وَأَنَّهُمْ إِنْ أَخَذُوا بِوَسِيلَتَيِ الْبَقَاءِ: مِنَ الِاسْتِعْدَادِ وَالِاعْتِمَادِ سَلِمُوا مِنْ تَسَلُّطِ غَيْرِهِمْ عَلَيْهِمْ.وَذِكْرُ الْعَوَاقِبِ الصَّالِحَةِ لِأَهْلِ الْخَيْرِ"[1].

وهذا يجمع قصص الأنبياء كلّهم في صراعهم مع أقوامهم، وما حكاه الله عن الصالحين من عباده مع الطغاة والمتجبّرين، كقصة مؤمن آل فرعون، وفتية الكهف.

2.4/ النّظر في السنن الكونية للاعتبار والاستبصار:

وهذا مقصد مكمّل للأول وهو يخصّ الفرد والأمّة على العموم، فمتى أخذت بسبل التمكين والنّصرة، نصرها الله وأعطيت حقّ الخلافة الشرعي، ومتى خذلت دينها وأهل الحق منها، خذلها الله، وسلّط عليها الذلّ والهوان، وتمالأ عليها أهل الباطل، قال تعالى :﴿ **وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ**﴾[3]، وكذلك الفرد متى أخذا بأسباب تزكية النفس،أفلح، ومتى أهملها وغفل عنها، خاب وخسر قال تعالى:﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا**﴾[4]، وهذا أشار إليه الطاهر بن عاشور بقوله:" ما في القصص مِنْ فَائِدَةِ التَّارِيخِ من معرفَة ترَتّب الْمُسَبَّبَاتِ عَلَى أَسْبَابِهَا فِي الْخَيْرِ

[1] الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير- ج1- ص:68

[2] سورة النور 55

[3] سورة الأنبياء105

[4] سورة الشمس10

وَالشَّرِّ وَالتَّعْمِيرِ وَالتَّخْرِيبِ لِتَقْتَدِيَ الْأُمَّةُ وَتَحْذَرَ ، قَالَ تَعَالَى:﴿ **فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا**﴾[1] ، وَمَا فِيهَا مِنْ فَائِدَةِ ظُهُورِ الْمُثُلِ الْعُلْيَا فِي الْفَضِيلَةِ وَزَكَاءِ النُّفُوسِ أَوْ ضِدِّ ذَلِكَ"[2].

ج/ تقوية جانب الأمّة الإسلامية لتكون مرهوبة غير مرغوبة

وهذا في الحقيقة من نفيس ما أشار إليه محمد الطاهر بن عاشور، وهو من تدبُّره في القصص، وهي لطيفة من لطائفه الحسنة، قال:" أَن ينشىء فِي الْمُسْلِمِينَ هِمَّةَ السَّعْيِ إِلَى سِيَادَةِ الْعَالَمِ كَمَا سَادَهُ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِهِمْ؛ لِيَخْرُجُوا مِنَ الْخُمُولِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ إِذْ رَضُوا مِنَ الْعِزَّةِ بِاغْتِيَالِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ؛ فَكَانَ مُنْتَهَى السَّيِّدِ مِنْهُمْ أَنْ يَغْنَمَ صُرَيْمَةً، وَمُنْتَهَى أَمَلُ الْعَامِّيِّ أَنْ يَرْعَى غُنَيْمَةً، وَتَقَاصَرَتْ هِمَمُهُمْ عَنْ تَطَلُّبِ السِّيَادَةِ حَتَّى آلَ بِهِمُ الْحَالُ إِلَى أَنْ فَقَدُوا عِزَّتَهُمْ فَأَصْبَحُوا كَالْأَتْبَاعِ لِلْفُرْسِ وَالرُّومِ"[3].

وهذا الذي أشار إليه أرى أنّه يتناسب مع صفة الاصطفاء للأمة المحمدية، فهي الأمة الحقّ، وما عداها على الباطل، وكيف يرضى ربّنا أن يعلو أهل الباطل على أهل الحق، هذا ذلّ وهوان، وهو ما أشار إليه في كتابه بقوله: ﴿ **وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا** ﴾[4]، فالأمة الإسلامية حقيقة بأن تقود لا أن تُقاد، أخذا بالأسباب، وتمسّكا بالسنّة والكتاب.

هذه مقاصد عامّة تندرج تحتها مقاصد فرعية، وإلّا فالقصص القرآني له من الفوائد والحكم ما يقصر عن حصرها في هذا الموضع، إذ مقاصده هي تنوّع بما يقتضيه الحال والمقام.

[1] سورة النمل 52

[2] الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير- ج1- ص:66

[3] المصدر نفسه- ج1- ص:67

[4] سورة النّساء141

5/ تكرار القصص القرآني

القصص القرآني، كقصص الأنبياء مع أقوامهم تكرّرت في مواضع من سور عديدة، وهذا لا يخرج القرآن الكريم عن فصاحته وبلاغته كما يفهمه من لم يعرف سَنن العرب في كلامها، وهذا التّكرار له مقاصده وغاياته المتعدّدة، ومن فهم ما قدمنا به سابقا من مقاصد القصص، لزم منه أن يفهم تكراره، إذ الغرض العام ليس التفكّه ولا الاستئناس، ولا الإطالة، فالقرآن ارتفع شأن البلاغة فيه بما ترفّع عنه ممّا جرى في كلام العرب عادة، ولذا ما هي أسرار التّكرار للقصص القرآني؟

وإذا علمت أنّ من سنن العرب في كلامها تّكرار الكلام لمقاصد، انجلت عن ذهنك تكرار القصة في القرآن الكريم، فالخطيب المفوّه إذا كرّر نفس الموضوع بطرق مختلفة لا يعدّ عيبا عندهم، قال الباقلاني:" كذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة تفاوتا بيّنا، ويختلف اختلافا كبيرا.ونظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة.فعلمنا بذلك أنّه ممّا لا يقدر عليه البشر، لأنّ الذي يقدرون عليه قد بيّنا فيه التفاوت الكثير، عند التكرار وعند تباين الوجوه، واختلاف الأسباب التي يتضمّن"[1].

وشبهة القائلين بأنّ القرآن الكريم كان له أن يورد قصة واحدة في موضع من سورة واحدة ؛ لأغنت عمّا عن البقية، فهذا نفي للحكمة ابتداء التي وصف الله بها نفسه في القرآن الكريم، ووصف بها كتابه العزيز، قال تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2]، وقوله تعالى:﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[3]، ثمّ قد ترد القصة في سورة واحدة كقصة يوسف، وقد تأتي في سور مختلفة، فتتعدّد الحكم من وراء

[1] الباقلاني أبو بكر- إعجاز القرآن- تح: السيد أحمد صقر- دار المعارف- مصر- ط5- 1997م- 37-38

[2] سورة آل عمران62

[3] سورة هود01

ذلك، ومنها:

أ/ اكتمال غرض القصة بتعدّد المناسبة:

وذلك أنّ القصة الواحدة قد يكون مقصدها وغرضها واحد عام، وتندرج تحته مقاصد فرعية تخدم الغرض الأسمى، فيسوق الله تلك الأغراض وَفق المناسبات الواقعة، فلا يكتمل تصوّر القصة والوصول إلى مقصودها العامّ إلّا بتكرّرها، حتى يسهل تدبّر وفهم سياقاتها، ومثل هذا قصة موسى مع فرعون، فيحتاج المسلم إلى ما يسمى بالتفسير الموضوعي ، فتجمع الآيات الواردة في القصة، ثمّ ترتب وفق نزولها، ليقف على منهج التدرّج في الوصول مقصد غلبة الحقّ وأهله على أهل الباطل. فكان تكرار القصص لتكرار التثبيت، فالقصة في القرآن وإنْ كانت في مجموعها مكررة، إنّما لقطاتها مختلفة تؤدي كُلٌّ منها معنى لا تؤديه الأخرى. قال الشعرواي:" فالقصة في القرآن وإنْ كانت في مجموعها مكرّرة، إنّما لقطاتها مختلفة تؤدي كُلٌّ منها معنى لا تؤديه الأخرى"[1].

ب/ رسوخها في الأذهان بتكريرها[2]:

وهذا مألوف عند العرب أنّها تستعمل الإيجاز في مقام، والإطناب في مقام آخر، وهذا هو البلاغة، وتكرّر الكلام قصد الفهم عنها، وهذا غرض قصده القرآن، إذ لما عارضوه قالوا: ﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا** ﴾[3]، فكان الغرض من إنزاله منجّما الفهم عنه، والعمل به تدرّجا، ومنه القصص إذ الغرض منه التدبّر فيه، قال تعالى: ﴿ **لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ** ﴾[4].

[1] محمد متولي الشعرواي- تفسير الشعراوي- الخواطر- مطابع أخبار اليوم- دت- ج17-ص: 10645

[2] ابن عاشور- التحرير والتنوير-ج1- ص:68

[3] سورة الفرقان32

[4] سورة يوسف111

وقال تعالى: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]. قال الباقلاني:" وإعادةِ القَصصِ وضَربِ الأمثالِ ما ليسَ في المرةِ الواحدةِ ولا شبهةَ على أحدٍ في تعاظُمِ النفعِ بتكريرِ الزجرِ والوعظِ وعظيمِ موقعهِ من النفسِ وتوفيقِه للقلبِ والتثبيتِ على طاعةِ الله، والإذْكارِ لجنتهِ ونارِه"[2]

ج/التثبيت لفؤاد النبي صلى وسلم عليه وللمومنين[3]:

وهذا مقصد أسمى من التّكرار للقصص القرآني، فإنّ الدعوة إلى الحقّ والثبات عليه، تحتاج على صبر وجَلَد ، فتذكير النبي صلى وسلم عليه والذين معه بقصص الأنبياء وأقوامهم، فيه دفع معنوي لهم، وهو أنّ العاقبة والنّصر لهم، وذلك يلتمس من تنوّع سياق القصة في المقام، فمرّة جاءت في المشركين ومرّة في أهل الكتاب . والتدرّج في نزول القصة يكون أبلغ في التأثير ، قال ابن عاشور:" أ نْ يَسْمَعَ اللَّاحِقُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي وَقْتِ نُزُولِ الْقُرْآنِ ذِكْرَ الْقِصَّةِ الَّتِي كَانَتْ فَاتَتْهُمْ مُمَاثَلَتُهَا قَبْلَ إِسْلَامِهِمْ أَوْ فِي مُدَّةِ مَغِيبِهِمْ، فَإِنَّ تَلَقِّيَ الْقُرْآنِ عِنْدَ نُزُولِهِ أَوْقَعُ فِي النُّفُوسِ مِنْ تَطَلُّبِهِ مِنْ حَافِظِيهِ"[4].

6/ مقاصد قصة يوسف من المطلع إلى المقطع

وقصة يوسف وردت في سورة واحدة من البداية إلى النهاية، وهذا فيه مقصد بلاغي للمفترين على القرآن، قال ابن عطية:" وسورة يوسف لم يتكرّر من معناها في القرآن شيء كما تكرّرت قصص الأنبياء، ففيها حجة على من اعترض بأنّ الفصاحة تمكّنت بتَرداد القول، وفي تلك القصص حجّة على من قال في هذه: لو كرّرت لفترت فصاحتها"[5]. وفيها لمن اعترض على عدم التّكرار كذلك: قال

[1] سورة الأعراف167

[2] الباقلاني أبو بكر- الإنتصار للقرآن- تح: محمد العصام القضاة- دار الفتح- عمّان- دار ابن حزم – بيروت- ط1- 1422هـ-2001م-ج2-801

[3] المصدر نفسه- ج2- ص:801

[4] الطاهر ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج1- ص:68

[5] ابن عطية- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- ج3- ص:218

القرطبي:" وَقَدْ ذَكَرَ قِصَّةَ يُوسُفَ وَلَمْ يُكَرِّرْهَا، فَلَمْ يَقْدِرْ مُخَالِفٌ عَلَى مُعَارَضَةِ مَا تَكَرَّرَ، وَلَا عَلَى مُعَارَضَةِ غير المتكرر، والإعجاز لمن تأمل"[1]

المقصد الأول: الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل

وهذا مقصد شريف، وهو أنّ الله ذكر أنّ الحق والباطل يعتلجان، والغلبة للحق مهما قوي سلطان الباطل في نظر أهله، وهذا وعد الله، وهذا المقصد ذكر في السورة عدّة مرات، قال تعالى﴿**قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ**﴾[2]

وهذا النّهي دليل على أنّ الشيطان يتمكّن من حمل النّاس على إذاية أهل الحق، وهذا وعد منه، قال البيضاوي:" إِنَّ الشَّيْطانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ظاهر العداوة لما فعل بآدم عليه السلام وحواء فلا يألوا جهداً في تسويلهم، وإثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد"[3].

وقوله تعالى:﴿ **وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ**﴾[4]، هذا تأكيد للآية السالفة الذكر في أنّ الشيطان هو الموسوس بدليل نسبة النزغ إليه[5].

المقصد الثاني: الصبر على الابتلاء سبب للتمكين في الأرض:

إنّ التمكين في الأرض وعد من الله لعباده المومنين، إلّا أنّ ذلك سنّته الأخذ بالأسباب التي أمر

[1] القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج9- ص:118

[2] سورة يوسف5

[3] البيضاوي- أنوار التنزيل وأسرار التأويل-ج3-ص:155

[4] سورة يوسف100

[5] أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط في التفسير- تح: صدقي محمد جميل-دار الفكر- بيروت-ط-1420هـ-ج6-ص:.328

الله بها سواء الدنيوية منها أو الدينية، وأهل الحق مبتلون، فلا بدّ لهم من صبر على طريق الحق، وأشدّ المصائب ما كان في الدين، وأشدّ الابتلاءات أصابت الأنبياء، وقصة يوسف جمعت كلّ هذه الأشياء، قال تعالى: ﴿ **ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ** ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ **قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ** ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ **قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾[4]. قال الطاهر بن عاشور:" وفيهَا الْعبْرَة بصبر الْأَنْبِيَاء مثل يَعْقُوب ويوسف- عَلَيْهِم السَّلَام- عَلَى الْبَلْوَى. وَكَيْفَ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ"[5].

وهذه كلّها ابتلاءات مرّ بها يوسف عليه السلام، فامتحن في دينه ودنياه، لأنّه مجتبى، فقوله : ﴿ **إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ**﴾[6]، دليل على يقينه في الله، فقد مكّن الله له ولمن معه، وهذا راجع لصبره.

المقصد الثالث: أخذ العبر من القصة من نواح مختلفة:

والخبر المقصوص الذي يسوقه الله الغرض منه أخذ العبرة، وهذا فيه إشارة للمومنين للنّظر في الأسباب والعواقب، قال تعالى:﴿ **لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ**﴾[7].

---

[1] سورة يوسف09

[2] سورة يوسف 32

[3] سورة يوسف 77

[4] سورة يوسف 55

[5] الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير- ج12- ص:199

[6] سورة يوسف 100

[7] سورة يوسف 07

، أي: أنّ في خبر يوسف وإخوته عبرة وموعظة لمن سأل عن أمرهم [1]. وقوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ** ﴾[2]، ووجه الاعتبار لم يحدّده الله، بل أجمل الأمر لأنّ القصة لها أغراض وعبر كثيرة ذكر منها الرازي في تفسيره أوجها كثيرة، واخترت قولا منها:" وَوَجْهُ الِاعْتِبَارِ بِقَصَصِهِمْ أُمُورٌ: الْأَوَّلُ: أَنَّ الَّذِي قَدَرَ عَلَى إِعْزَازِ يُوسُفَ بَعْدَ إِلْقَائِهِ فِي الْجُبِّ، وَإِعْلَائِهِ بَعْدَ حَبْسِهِ فِي السِّجْنِ وَتَمْلِيكِهِ مِصْرَ بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَظُنُّونَ بِهِ أَنَّهُ عَبْدٌ لَهُمْ، وَجَمْعِهِ مَعَ وَالِدَيْهِ وَإِخْوَتِهِ عَلَى مَا أَحَبَّ بَعْدَ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ، لَقَادِرٌ عَلَى إِعْزَازِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ "[3].

ومنها ما ذكره الطاهر بن عاشور، وهو مقصد جليل من السورة نفسها وهو:" وَفِيهَا مِنْ عِبَرِ تَارِيخِ الْأُمَمِ وَالْحَضَارَةِ الْقَدِيمَةِ وَقَوَانِينِهَا وَنِظَامِ حُكُومَاتِهَا وَعُقُوبَاتِهَا وَتِجَارَتِهَا"[4]

المقصد الرابع:مقصد تسلية النبي صلى وسلم عليه [5]: وهذا مقصد يشترك فيه القصص جميعا، تسلية وتثبيتا.

وقد بدا لي وجه مناسبة بين مطلعها ومقطعها، وهو أنّ الله قال في بداية السورة :﴿ **نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ** ﴾، وفي خواتيمها: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**[6]

فكان وجه المناسبة أنّ الله ردّ على المشكّكين والسائلين لرسول الله عن غيب القصص، من اليهود والمشركين، فأحسن القصص لاشتماله على أحسن فوائدها وأحسن ما فيها، ثمّ بين وجه الأحسن في

---

[1] أبو الليث السمرقندي- بحر العلوم- دط-دت- ج2- ص:180

[2] سورة يوسف111

[3] الفخر الرازي- مفاتيح الغيب- ج18- ص:555

[4] الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير- ج12- ص:199

[5] المصدر نفسه- ج12- ص:199

[6] سورة يوسف 111

الأخير من القصص، وهو الوقوف على مقصده وثمرته، وهو أخذ العبر، وهذا لا يقف عليه عوام الجهلة بل أصحاب العقول.

المحاضرة السابعة:الأمثال في القرآن الكريم

قسّم العلماء القرآن الكريم إلى أبواب، منها باب الأمثال التي ضربها الله في كتابه للناس، والقرآن الكريم حمل طابع التحدي والإعجاز في جميع أبوابه، فالعرب كان ضرب الأمثال معروفا عندهم، فما وجه المفارقة بين أمثال القرآن الكريم وبين أمثال العرب من منطلق الوقوف على حِكم وأسرار الأمثال القرآنية.

1/تعريف الأمثال:

المثل في اللغة يحمل عدّة دلالات تستعمل في سياقاتها، والذي يهمّنا ما كان له علاقة بضرب المثل في القرآن الكريم، جاء في مختار الصحاح:" [م ث ل]: مِثْلٌ كَلِمَةُ تَسْوِيَةٍ يُقَالُ: هَذَا (مِثْلُهُ) وَ (مَثَلُهُ) كَمَا يُقَالُ: شِبْهُهُ وَشَبَهُهُ. وَ (الْمَثَلُ) مَا يُضْرَبُ بِهِ مِنَ (الْأَمْثَالِ) . وَ (مَثَلُ) الشَّيْءِ أَيْضًا بِفَتْحَتَيْنِ صِفَتُهُ"[1].

فالمعنى الذي له علاقة بضرب المثل، هو المثل بمعنى المثال، وهو الأنموذج الذي يُحتذى ويقاس عليه. والثاني: المثل بمعنى الشَبَه، وهو ما يجري فيه القياس بتشبيه شيء بشيء[2]

والأمثال قال الراغب الأصفهاني في معناها : " والمِثْلُ عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة، ليبيّن أحدهما الآخر ويصوّره. نحو قولهم: «الصّيف ضيّعت اللّبن » فإن هذا القول يشبه قولك: أهملت وقت الإمكان أمرك. وعلى هذا الوجه ما ضرب الله تعالى من الأمثال،

[1] أبو بكر الحنفي الرازي- مختار الصحاح- تح: يوسف الشيخ محمد- المكتبة العصرية- الدار النموذجية- بيروت- صيدا- ط5-1420هـ-1999م – ص:290- مادة- م ث ل.

[2] عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع- الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله- عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية- ط1-1424هـ-2003م- ص:87

فقال: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]"[2] ، وأنّها شبيه (تشبيه) شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الأخر واعتبار أحدهما بالآخر[3]

وقال الزركشي:وَالْأَمْثَالُ مَقَادِيرُ الْأَفْعَالِ وَالْمُتَمَثِّلُ كَالصَّانِعِ الَّذِي يُقَدِّرُ صناعته كَالْخَيَّاطِ يُقَدِّرُ الثَّوْبَ عَلَى قَامَةِ الْمَخِيطِ ثُمَّ يفريه ثم يقطع وكل شيء به قَالَبٌ وَمِقْدَارٌ وَقَالَبُ الْكَلَامِ وَمِقْدَارُهُ الْأَمْثَال[4].

2/ضرب الأمثال:

والمقصود بضرب الأمثال في القرآن الكريم، كلّ ما كان فيه نصب المثال وإظهاره للمخاطبين لتستدل عليه خواطرهم كما تستدل على الشيء المنصوب نواظرهم ، أو الأصل الذي يتوصّل المخاطب بالمقايسة والمقارنة والاعتبار به إلى استخلاص البرهان والعبرة ونحوها [5]. وهذا هو الأغلب الواقع في القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾[6]، قال الزمخشري:" أي: صفات ما فعلوا وما فُعل بهم، وهي في الغرابة كالأمثال المضروبة لكلّ ظالم "[7]، وقال الرازي منوّها على مقصد ضرب الأمثال في القرآن الكريم:" وَضَرَبْنا لَكُمُ الْأَمْثالَ، فَالْمُرَادُ مَا أَوْرَدَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِمَّا يُعْلَمُ بِهِ أَنَّهُ

[1] سورة الحشر 21

[2] الراغب الأصفهاني- المفردات في غريب القرآن- تح: صفوان عدنان الداودي- دار القلم-الدار الشامية- دمشق- بيروت- ط1-1412هـ-ص:759

[3] ابن القيم الجوزية- الأمثال في القرآن- تح: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد- مكتبة الصحابة- طنطا- مصر-ط1-1406هـ-1986م- ص:09

[4] الزركشي- البرهان في علوم القرآن- ج1- ص:478

[5] ينظر: عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع- الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله – ص89

[6] سورة إبراهيم 45

[7] الزمخشري- الكشاف- ج2- ص:565

قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ كَمَا قَدَرَ عَلَى الِابْتِدَاءِ ، وَقَادِرٌ عَلَى التَّعْذِيبِ الْمُؤَجَّلِ كَمَا يَفْعَلُ الْهَلَاكَ الْمُعَجَّلَ، وَذَلِكَ فِي كِتَابِ الله كثير"[1].

3/ ضرورة معرفة علم الأمثال للمفسّر

معرفة معاني كتاب الله تعالى هي غاية المفسّر والمتدبّر، ولا يقف المفسّر على أحسن وجه يحمل عليه تفسير اللفظة أو الآية إلّا إذا جمع الكثير من العلوم التي تيسّر عليه ذلك، وقد يتفاوت المفسرون في هذا المقدار، وحريٌّ بالمفسّر أن يقف مع أمثال القرآن الكريم، فيستخرج مقاصد ضربها في كلّ سورة، فيبيّنها في تفسيره، إذ الأمثال من أوجهه التي أشار إليها العلماء، وقد أخرج البيهقي في شعب **الإيمان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَعْرِبُوا الْقُرْآنَ، وَاتَّبِعُوا غَرَائِبَهُ وَغَرَائِبُهُ فَرَائِضُهُ وَحُدُودُهُ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجُهٍ: حَلَالٍ وَحَرَامٍ وَمُحْكَمٍ وَمُتَشَابِهٍ وَأَمْثَالٍ، فَاعْمَلُوا بِالْحَلَالِ وَاجْتَنِبُوا الْحَرَامَ وَاتَّبِعُوا الْمُحْكَمَ وَآمِنُوا بِالْمُتَشَابِهِ وَاعْتَبِرُوا بِالْأَمْثَالِ**[2]

وقد نقل عن الشافعي أنّه مِمَّا يَجِبُ عَلَى الْمُجْتَهِدِ مَعْرِفَتُهُ مِنْ عُلُومِ الْقُرْآنِ فَقَالَ: ثُمَّ مُعْرِفَةُ مَا ضُرِبَ فِيهِ مِنَ الْأَمْثَالِ الدَّوَالِّ عَلَى طَاعَتِهِ الْمُبَيِّنَةِ لِاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ[3].

وقد نقل السيوطي عن الماوردي أنّه قال:" مِنْ أَعْظَمِ عِلْمِ الْقُرْآنِ عِلْمُ أَمْثَالِهِ وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَنْهُ لِاشْتِغَالِهِمْ بِالْأَمْثَالِ وَإِغْفَالِهِمُ الْمُمَثَّلَاتِ وَالْمَثَلُ بِلَا مُثَّلٍ كَالْفَرَسِ بِلَا لِجَامٍ وَالنَّاقَةِ بِلَا زِمَامٍ"[4].

---

[1] الرازي- مفاتيح الغيب- ج19- ص:110.

[2] البيهقي أبو بكر- شعب الإيمان- حققه وراجعه: عبد العلي عبد الحميد حامد- مكتبة الرشد- الرياض- بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي- الهند- ط1-1423هـ-2003م-تعظيم القرآن-فصل في ترك التفسير بالظن- رقم:2095- ج3- ص:548-. الحديث قال فيه الملا الهروي القاري أنه ضعيف جدا، ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح- دار الفكر- بيروت- لبنان- ط1-1422هـ-2002م- رقم:182- ج1- ص:267

[3] السيوطي – الإتقان في علوم القرآن- ج4- ص:44، وعبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي النجدي- حاشية مقدمة التفسير- ط2-1410هـ-1990م-ص:96

[4] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج4- ص:44

4/المقصد العام من ضرب الأمثال في القرآن الكريم:

ورد في الكثير من الآيات ضرب المثل، وهو ضرب متنوّع متعدّد، وقد يأتي التذكير به في آخر الآية بعد سوق القصة الواقعة، أو الخبر المقصوص، وهذا هو الغالب أو يذكّر الله به دون أن يورد قبله شيئا ممّا سبق، فيأتي به عامّا، ،كقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا**﴾[1]، وقوله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾[2] . أو يذكر الله المثال بالشخص أو العين ،كقوله تعالى: ﴿ **ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[3]، فالمقصد العام من ضرب الأمثال كما ذكر الزركشي:" أَنَّ الْحِكَمَ وَالْأَمْثَالَ تُصَوِّرُ الْمَعَانِيَ تَصَوُّرَ الْأَشْخَاصِ فَإِنَّ الْأَشْخَاصَ وَالْأَعْيَانَ أَثْبَتُ فِي الْأَذْهَانِ لِاسْتِعَانَةِ الذِّهْنِ فِيهَا بِالْحَوَاسِّ بِخِلَافِ الْمَعَانِي الْمَعْقُولَةِ فَإِنَّهَا مُجَرَّدَةٌ عَنِ الْحِسِّ وَلِذَلِكَ دَقَّتْ"[4]

4/أقسام الأمثال الواقعة في القرآن الكريم:

ذكر السيوطي أنّ الأمثال على قسمين، قسم ظاهر مصرّح به، وقسم كامن لا ذكر للمثل فيه [5]، **فالقسم الأول الظاهر** وجوده كثير في القرآن الكريم، والغرض من التصريح بالمثال فيه هو شدّة وقعه على النفوس، وسهولة استخلاص العبر منه، ومنه قوله تعالى: ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ**﴾[6] .

---

[1] سورة الإسراء 89

[2] سورة الزمر 27

[3] سورة النحل 75

[4] الزركشي- البرهان في علوم القرآن- ج1- ص:488

[5] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن-ج4- ص:46

[6] سورة البقرة17

قال ابن القيم:" فضرب للمنافقين بحسب حالهم مَثلين، مثلا ناريا ومثلا مائيا لما في الماء والنار من الإضاءة والإشراق والحياة، فإنّ النّار مادة النور، والماء مادة الحياة، وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي أنزل من السماء متضمّنا لحياة القلوب واستنارتها ، ولهذا سماه روحا ونورا، وجعل قابليه أحياء في النور، ومن لم يرفع به رأسا أمواتا في الظلمات، وأخبر عن حال المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحي أنّهم بمنزلة من استوقد نارا لتضئ له ، وينتفع بها، وهذا لأنّهم دخلوا في الإسلام، فاستضاءوا به وانتفعوا به"[1]

وقوله تعالى: ﴿ **وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا**﴾[2]، قال الرازي:" قَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي: الْمَقْصُودُ مِنْهُ بَيَانُ أَنَّ مَنْ أُوتِيَ الْهُدَى، فَانْسَلَخَ مِنْهُ إِلَى الضَّلَالِ وَالْهَوَى وَالْعَمَى، وَمَالَ إِلَى الدُّنْيَا، حَتَّى تَلَاعَبَ بِهِ الشَّيْطَانُ كَانَ مُنْتَهَاهُ إِلَى الْبَوَارِ وَالرَّدَى، وَخَابَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى، فَذَكَرَ اللَّه قِصَّتَهُ لِيَحْذَرَ النَّاسُ عَنْ مِثْلِ حَالَتِهِ... وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا التَّمْثِيلَ مَا وَقَعَ بِجَمِيعِ الْكِلَابِ ... فَمَنْ آتَاهُ اللَّه الْعِلْمَ وَالدِّينَ فَمَالَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ، كَانَ مُشَبَّهًا بِأَخَسِّ الْحَيَوَانَاتِ، وَهُوَ الْكَلْبُ اللاهث"[3]،

ومنها قوله تعالى:﴿ **وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ**﴾[4]، أخرج ابن أبي حاتم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ فَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ: هُوَ طَيِّبٌ وَعَمَلُهُ طَيِّبٌ كَمَا أَنَّ الْبَلَدَ الطَّيِّبُ ثَمَرُهَا طَيِّبٌ[5].

---

[1] ابن القيم الجوزية- الأمثال في القرآن- ص:09

[2] سورة الأعراف176

[3] الرازي- مفاتيح الغيب-ج15- ص:404-405

[4] سورة الأعراف 58

[5] ابن أبي حاتم الرازي- تفسير القرآن العظيم- تح: أسعد محمد الطيب- مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية- ط3-1419هـ- رقم:8613- ج5- ص:1503

القسم الثاني: ما كان كامنا:

وهذا القسم لا يظهر فيه المثَل، بل يستفاد منه، وقد أورد السيوطي أمثلة عن ذلك حكاها عن الماوردي، وهي أمثلة سمعت عن العرب وحفظت عنها، استنبط معناها من القرآن الكريم، قال :"

فَقَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُضَارِبِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَأَلْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ الْفَضْلِ فَقُلْتُ: إِنَّكَ تُخْرِجُ أَمْثَالَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ مِنَ الْقُرْآنِ فَهَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ" خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا"؟ قَالَ: نَعَمْ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ** ﴾[1]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا** ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ** ﴾[3]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا** ﴾[4].

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ قَالَ نَعَمْ فِي مَوْضِعَيْنِ: ﴿ **بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ** ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ** ﴾[6]

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ "لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْعَيَانِ"؟ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ** ﴾[7].

---

[1] سورة البقرة68

[2] سورة الفرقان 67

[3] سورة الإسراء 29

[4] سورة الإسراء 110

[5] سورة يونس 39

[6] سورة الأحقاف 11

[7] سورة البقرة260

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِي "الْحَرَكَاتِ الْبَرَكَاتُ"؟ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً**﴾[1]"[2]

والذي ذكره الماوردي عن أبي إسحاق، هو اجتهاد منه، وقد يستنبط غير ما قالته العرب من القرآن الكريم ، ويكون خافيا كذلك، وسنبيّن وجه الإعجاز في أمثال القرآن الكريم ممّا امتاز به عن أمثلة العرب في مبحثه المخصّص له.

5/مقاصد ضرب الأمثال القرآنية:

والأمثال القرآنية حالها كحال القصص، فلم يذكرها الله للتفكّه والاستئناس بها، بل المتدبّر في هذه الأمثال يقف على دبرها من حكم تلتمس، وفوائد تنتفس، فالأمثال التي ضربها الله في كتابه، ما هي إلّا زواجر وأوامر للاقتداء والاهتداء لما فيه صلاح الفرد والأمة، ومن هذه المقاصد :

- **أنها مقصد للتفكر والتدبر والاعتبار والاستبصار:**

وهذه الغاية والمقصد الأسمى من ضرب الأمثال في القرآن الكريم، فما من مَثّل إلّا واشتمل على حكمة وعبرة، سواء أكان مصرّحا به أم كامنا ، لاشتمال الأمثال على أوامر أو نواهي ، قال تعالى: ﴿ **وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[3]، قال الثعالبي في تفسيره:" فالإنسانُ على حقارته وضَعْفِهِ أولى بذلك، وضرب اللَّه سبحانه هذا المثل ليتفكّر فيه العاقلُ، ويخشعَ ويلينَ قلبُهُ"[4]**.وفي سورة إبراهيم:**﴿ **وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ**﴾[5]، قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: إنّكم سمعتم هذا كلّه في

---

[1] سورة النساء100

[2] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج4- ص:48

[3] سورة الحشر 21

[4] عبد الرحمن الثعالبي- الجواهر الحسان في تفسير القرآن- تح: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط1-1418هـ-ج5- ص:414

[5] سورة إبراهيم45

الدنيا فلم تعتبروا؛ فلو رجعتم بعد هذا اليوم، لا تنفعكم الموعظة أيضاً"[1].

- **تقريب صورة المثل المضروب إلى العقول[2]:**

وهذا القسم هو الذي ذكر فيه المثل في صورة محسوسة، والغرض منه أن يكون أوقع على النفس، " فَإِنَّ الْأَمْثَالَ تُصَوِّرُ الْمَعَانِيَ بِصُورَةِ الْأَشْخَاصِ لِأَنَّهَا أَثْبَتُ فِي الْأَذْهَانِ لِاسْتِعَانَةِ الذِّهْنِ فِيهَا بِالْحَوَاسِّ وَمِنْ ثَمَّ كَانَ الْغَرَضُ مِنَ الْمَثَلِ تَشْبِيهُ الْخَفِيِّ بِالْجَلِيِّ والغائب بالشاهد"[3]

وهذا أمثلته كثيرة، كقوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ**﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ **ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا**﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ **مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾[6].

- **الدلالة على قيمة المثل المضروب به**

وفي هذا تقريب للحقائق والمعاني ، فإذا ضرب له مثلا، فاعلم أنّما يريد منه معناه، ومعناه تلتمس قيمته من عظمة المضروب به، والعكس، فيضرب الحقير بالمثل الخسيس للتنفير منه ومن حاله، وهذا ما تفرّد به الزمخشري قال:" فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثّل به مثله، وإن كان حقيرا كان المتمثل به كذلك ، فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إذاً إلا أمراً تستدعيه حال المتمثل له وتستجرّه إلى نفسها، فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية. ألا ترى إلى الحق لما كان واضحاً جلياً أبلج، كيف تمثل له بالضياء والنور؟ وإلى الباطل لما كان بضد صفته، كيف تمثل له

[1] أبو الليث السمرقندي- بحر العلوم- دط-دت- ج2- ص:247

[2] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج4- ص:45

[3] المصدر نفسه- ج4- ص:45

[4] سورة إبراهيم 24

[5] سورة الزمر 29

[6] سورة الجمعة 05

بالظلمة؟ ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار أنداداً للّه تعالى لا حال أحقر منها وأقلّ، ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن، وجعلت أقلّ من الذباب وأخس قدر "[1].

- **تبكيت الخصم**

وهذا في الأمثلة التي ضربها الله ردّا على أشخاص معيّنين، محاجّة لهم، وهذا أمثلته ليست بكثيرة الواقع في القرآن الكريم، لأنّ العبرة ليست بمن ضرب به المثل غالبا، بل المثل المضروب به إمّا ترغيبا أو تنفيرا منه، ومن أمثلته الواقعة **قوله تعالى:** ﴿ **وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا**﴾[2]

فقد قال ابن كثير :" قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنِ الْأَعْمَشِ وَمَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا**﴾ [فَأَتْبَعَهُ] الْآيَةَ، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يُقَالُ لَهُ: بَلْعم بْنُ أبَرَ. وَكَذَا رَوَاهُ شُعْبَةُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ، عَنْ مَنْصُورٍ، بِهِ.وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَة، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، هُوَ صَيْفِيُّ بْنُ الرَّاهِبِ"[3].

هذه بعض المقاصد الحسنة لضرب الأمثال القرآنية، والقرآن معينه لا ينضب، فمن تدبّر في أمثاله استزاد من عبره وأسراره، وهو وجه من أوجه الإعجاز فيه، والأمثال القرآنية زادت على الأمثال العربية صدقا، وقد صحّح الشرع الحكيم بعض الأمثال العربية، كقول العرب:" القتل أنفى للقتل"، ولكن القرآن جاء فيه **وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ**[4].

[1] الزمخشري- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل- ج1- ص:111

[2] سورة الأعراف175-176

[3] ابن كثير- تفسير القرآن العظيم- ج3- ص:506-507

[4] سورة البقرة 179

المحاضرة الثامنة: القَسَم في القرآن الكريم

نوّع القرآن الكريم من خطابه، وانتهج أساليب مختلفة للتأثير على المخاطب، لقبول الحقّ مهما كان مقصوده، والنفوس البشرية في التأثّر متباينة لاختلاف المؤثرات، فمنهم المشرك الوثني الباقي على ملّة أجداده، ومنهم المنافق، ومنهم أهل الكتاب، ومنهم المؤمن الموحد، ومن مقامات البلاغة عند العرب أن يخاطب كلٌّ بحسب المقام الذي هو فيه، فخالي الذهن ليس كالمتردّد، والمتردّد ليس كالمنكر، ولذا انتهج القرآن الكريم أسلوبا من أساليب الخطاب للبرهان والاستدلال، وهو القسم.فما هو القسم؟ وما هي أغراضه ومقاصده الخطابية؟

1/تعريف القَسَم:

ا/**لغة**" والقَسَمُ، بِالتَّحْرِيكِ: الْيَمِينُ، وَكَذَلِكَ المُقْسَمُ، وَهُوَ الْمَصْدَرُ مِثْلَ المخْرَج، وَالْجَمْعُ أَقْسَام. وَقَدْ أَقْسَمَ بِاللَّهِ واسْتَقْسَمَه بِهِ وقَاسَمَه: حلَف لَهُ. وتَقَاسَمَ القومُ: تَحَالَفُوا. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾[1]. وأَقْسَمْت: حَلَفْتُ، وأَصله مِنَ القَسامة. ابْنُ عَرَفَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ كَمَا أَنْزَلْنا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾[2]؛ هُمُ الَّذِينَ تَقاسَمُوا وتَحالَفُوا عَلَى كَيْدِ الرَّسُولِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[3].

ب/ اصطلاحا:

قال ابن سيده:" اعْلَم أَن القَسَم هُوَ يَمِين يُقسِم بهَا الْحَالِف؛ ليؤَكّد بهَا شَيْئا يُخبر عَنهُ من إِيجَاب أَو جحد، وَهُوَ جملَة يُؤَكد بهَا جملَة أُخْرَى"[4].

---

[1] سورة النمل49

[2] سورة الحجر90

[3] ابن منظور- لسان العرب- ج12- ص:481- مادة:[ق س م]

[4] ابن سيده أبو االحسن المرسي- المخصص-تح: خليل إبراهيم جفال- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط1-1417هـ-1996م-ج4- ص:71

وهذا الغالب في قسم المخلوق بالخالق من جهة القوّة لتحصيل المرغوب والامتناع من المرهوب [1]، أمّا فيما تعلّق بقسم الخالق بما أقسم به في القرآن الكريم، فتبقى أغراضه ومقاصده مقصودة، لكن لا وجه لاحتياج الله تعالى إلى التقوي بها، بل المقصود تقوية الغرض من القَسم .

2/وجود القَسَم في القرآن الكريم:

والتّساؤل الذي يتبادر إلى الأذهان هو، ما هو الداعي لوقوع القسم مع أنّ الله تعالى لا يقول إلّا الحقّ، لقوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ﴾[2]؟، والذي جاء به رسول الله هو عيْن الصدق، قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾[3]، وهذا التساؤل يقع فيمن التبس عليهم قِسْم من أقسام القَسَم، وهو قَسَم الله تعالى، ولكنّ المعلوم أنّ هذا القرآن عربي النزول والتنزيل، والمخاطبون به هم العرب الفصحاء، ومن فهم سَنن العرب في خطابها زال عليه اللَّبس، لأنّ القَسَم ضمن خطابها، وله مقصوده، قال السيوطي :" بِأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ وَمِنْ عادتها القَسَم إذا أرادات أَنْ تُؤَكِّدَ أَمْرًا"[4] ، وذكر الرازي نقلا عن الواحدي الغرض العام منه:" قَالَ الْوَاحِدِيُّ: إِنَّمَا سَمَّى الْيَمِينَ بِالْقَسَمِ لِأَنَّ الْيَمِينَ مَوْضُوعَةٌ لِتَوْكِيدِ الْخَبَرِ الَّذِي يُخْبِرُ بِهِ الإنسان: إِمَّا مُثْبِتًا لِلشَّيْءِ، وَإِمَّا نَافِيًا. وَلَمَّا كَانَ الْخَبَرُ يَدْخُلُهُ الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ احْتَاجَ الْمُخْبِرُ إِلَى طَرِيقٍ بِهِ يَتَوَسَّلُ إِلَى تَرْجِيحِ جَانِبِ الصِّدْقِ عَلَى جَانِبِ الْكَذِبِ وَذَلِكَ هُوَ الْحَلِفُ وَلَمَّا كَانَتِ الْحَاجَةُ إِلَى ذِكْرِ الْحَلِفِ إِنَّمَا تَحْصُلُ عِنْدَ انْقِسَامِ النَّاسِ عِنْدَ سَمَاعِ ذَلِكَ الْخَبَرِ إِلَى مُصَدِّقٍ بِهِ وَمُكَذِّبٍ بِهِ. سَمَّوُا الْحَلِفَ بِالْقَسَمِ وَبَنَوْا تِلْكَ الصِّيغَةَ عَلَى- أَفْعَلَ- فَقَالُوا: أَقْسَمَ فُلَانٌ يُقْسِمُ إِقْسَامًا: وَأَرَادُوا أَنَّهُ أَكَّدَ الْقَسَمَ الَّذِي اخْتَارَهُ

[1] الكاساني علاء الدين الحنفي- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع- دار الكتب العلمية- ط1-1406هـ-1986م-ج3-ص:02

[2] سورة الأحزاب 04

[3] سورة الزمر 33

[4] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج4- ص:53

وَأَحَالَ الصِّدْقَ إِلَى الْقَسَمِ الَّذِي اخْتَارَهُ بِوَاسِطَةِ الْحَلِفِ وَالْيَمِينِ"[1].

3/قَسَم الله تعالى في القرآن الكريم:

أقسم الله تعالى بما خلَقه في القرآن الكريم، كالزمن، والمكان، وعمُر النبي صلى وسلم عليه، والنبات، وغيرها، والمقصود من القَسَم هو تعظيم المقْسم به ، وَلِهَذَا كَانَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ الْقَسَمَ بِمَا جَلَّ قَدْرُهُ وَعَظُمَ خَطَرُهُ وَكَثُرَ نَفْعُهُ عِنْدَ الْخَلْقِ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَنَحْوِ ذَلِكَ[2].

والمؤمن يدرك أنّ العظمة لله تعالى، فهل يُقسم ربّنا بما خلق للدلالة على عظمته؟، نقول: نعم، لا تنافي بين الأمرين، لأنّ وجه الحكمة في القَسَم عائدة على المخاطبين لا على الله تعالى، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وقد نقل السيوطي عن القشيري أنّ الغرض:" بِأَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ الْقَسَمَ لِكَمَالِ الْحُجَّةِ وَتَأْكِيدِهَا: وَذَلِكَ أَنَّ الْحُكْمَ يُفْصَلُ بِاثْنَيْنِ: إمَّا بِالشَّهَادَةِ وَإِمَّا بِالْقَسَمِ فَذَكَرَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ النَّوْعَيْنِ حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُمْ حُجَّةٌ فَقَالَ: ﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ** ﴾[3] ؛ وَقَالَ تعالى: ﴿ **قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ** ﴾[4]، وَعَنْ بَعْضِ الْأَعْرَابِ أَنَّهُ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُ تعالى: ﴿ **وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ** ﴾[5]، صَرَخَ وَقَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي أَغْضَبَ الْجَلِيلَ حَتَّى أَلْجَأَهُ إلَى الْيَمِينِ![6]

---

[1] نقلا عن الرازي- مفاتيح الغيب- ج13- ص:112

[2] الكاساني علاء الدين الحنفي- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع-ج3- ص:02

[3] سورة آل عمران 18

[4] سورة يونس 53

[5] سورة الذاريات22-23

[6] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج4- ص:53

كما أنّ تعظيم المؤمن لما أقسم الله تعالى به من مخلوقاته، والوقوف على حكمته، دلالة على عظمة من أقسم به، وهو الله تعالى، وقسم الله على قسمين: قسم بنفسه، وقسم بمخلوقاته.

أ/ **قَسَم الله تعالى بنفسه** : أقسم الله بنفسه في سبع مواضع في القرآن الكريم [1]، **وهي في قوله تعالى:"** ﴿ **قُلْ إِي وَرَبِّيَ** ﴾[2] ﴿ **قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ**﴾[3]، **في موضعين**[4]، ﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ**﴾[5] ﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[6] ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[7] ﴿ **فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ**﴾ [8] . والآية الأخيرة المقصود منها كلمة" رب"، وإلّا عددنا المشارق والمغارب من مخلوقاته.

أ/بعض أغراض القَسَم في هذا القِسْم:

في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِي وَرَبِّيَ** ﴾، قال الرازي:" الفائدة فيه أمور: أحدها: أن يستم يلهم وَيَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ بِالْكَلَامِ الْمُعْتَادِ وَمِنَ الظَّاهِرِ أَنَّ مَنْ أَخْبَرَ عَنْ شَيْءٍ، وَأَكَّدَهُ بِالْقَسَمِ فَقَدْ أَخْرَجَهُ عَنِ الْهَزْلِ وَأَدْخَلَهُ فِي بَابِ الْجِدِّ. وَثَانِيهَا: أَنَّ النَّاسَ طَبَقَاتٌ فَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُقِرُّ بِالشَّيْءِ إِلَّا بِالْبُرْهَانِ الْحَقِيقِيِّ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَنْتَفِعُ بِالْبُرْهَانِ الْحَقِيقِيِّ، بَلْ يَنْتَفِعُ بِالْأَشْيَاءِ الْإِقْنَاعِيَّةِ، نَحْوَ الْقَسَمِ"[9].

في قوله تعالى: ﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ ، **قال ابن عاشور** :"وَالْمَقْصُودُ بِالْقَسَمِ تَأْكِيدُ الْخَبَرِ. وَلَيْسَ الرَّسُول- عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- مِمَّنْ يَشُكُّ فِي صِدْقِ هَذَا الْوَعِيدِ وَلَكِنَّ التَّأْكِيدَ مُتَسَلِّطٌ عَلَى

---

[1] المصدر السابق- ج4- ص:54

[2] سورة يونس 53- الموضع الثاني في سورة سبأ 03

[3] سورة التغابن 07

[4] وفي الثلاثة الأول أمر الله تعالى رسوله بأن يقسم به، كما ذكر مناع القطان،ينظر: كتابه : مباحث في علوم القرآن- ص302

[5] سورة مريم68

[6] سورة الحجر 92

[7] سورة النساء65

[8] سورة المعارج 40

[9] الرازي- مفاتيح الغيب- ج17- ص:264

مَا فِي الْخَبَرِ مِنْ تَهْدِيدِ مُعَادِ ضَمِيرِ النصب فِي لَنَسْئَلَنَّهُمْ. وَوَصْفُ الرَّبِّ مُضَافًا إِلَى ضَمِيرِ النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيمَاءً إِلَى أَنَّ فِي السُّؤَالِ الْمُقْسَمِ عَلَيْهِ حَظًّا مِنَ التَّنْوِيهِ بِهِ، وَهُوَ سُؤَالُ اللَّهِ الْمُكَذِّبِينَ عَنْ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ سُؤَالَ رَبٍّ يَغْضَبُ لِرَسُولِهِ- عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-"[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ **فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ** ﴾[2] ، الْقَسَمُ بِاللَّهِ بِعُنْوَانِ رُبُوبِيَّتِهِ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ مَعْنَاهُ: رُبُوبِيَّتُهُ الْعَالَمَ كُلَّهُ لِأَنَّ الْعَالَمَ مُنْحَصِرٌ فِي جِهَاتِ شُرُوقِ الشَّمْسِ وَغُرُوبِهَا[3]

ب/ القسم بمخلوقاته: ومن أمثلة هذا القسم قوله تعالى:" كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾[4] ، ﴿وَالصَّآفَّاتِ﴾ [5]، ﴿وَالشَّمْسَ﴾ [6]، ﴿وَاللَّيْلِ﴾ [7] ،﴿وَالضُّحَى﴾ [8] ، ﴿فلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾[9]، وهو كثير الوقوع.وكلّ هذه السور ابتداء القسم فيها تنويها، بغرض الكلام المسوق للمخاطبين، والإطالة في القسم تشويق إلى المقسم عليه، وتنبيه للمخاطبين لالتماس حكمة المقسم عليه[10]. وقد بيّن الباحث عبد الله الهتاري هذه العلاقات الموجودة بين المقسم به والمقسم عليه، كعلاقة المشابهة في سورة الضحى، وعلاقة التقابل والتفاوت في سورة الليل، وعلاقة الاستدلال في صورة العصر، وعلاقة السّببية في القَسَم بحياة رسول الله في سورة الحجر[11].

---

[1] الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير- ج14- ص:87

[2] سورة النساء65

[3] الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير - ج29- ص:179

[4] سورة التين01

[5] سورة الصافات01

[6] سورة الشمس01

[7] سورة اليل01

[8] سورة الضحى01

[9] سورة التكوير15

[10] ينظر: ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج30- ص:420

[11] عبد الله علي عبد الله الهتاري- القسم في القرآن الكريم تركيبا ودلالة- رسالة ماجستير- جامعة اليرموك-1999م- ص:122-125

والمتدبّر لكتاب الله تعالى يستطيع أن يلتمس هذه العلاقة بالنظر في سياق الآيات سباقا ولحاقا، كما يلزمه النظر في السور في سبب نزولها، وخصائصها.

4/أركان القَسَم وصيغته:

للقسم أركان أساسية، اتُفق على ثلاثة منها، واختلف في الرابعة[1]، وأشار الباحث مناع القطان على الأركان باسم الصيغ فقال:" فأجزاء صيغة القسم ثلاثة:

– الفعل الذي يتعدّى بالباء. – والمقسم به. والمقسم عليه. ولما كان القسم يكثر في الكلام، اختصر فصار فعل القسم يحذف، ويكتفى بالباء ثم عُوِّض عن الباء بالواو في الأسماء الظاهرة كقوله تعالى: ﴿ **وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ**﴾[2], وبالتاء في لفظ الجلالة كقوله: ﴿ **وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم** ﴾[3], وهذا قليل، أما الواو فكثيرة"[4].

5/أنواع القَسَم: قسّم إلى قسمين اثنين، إما ظاهر، أو مضمر[5]

أ/ **الظاهر: المصرح به:** هو ما صُرح فيه بفعل القسم, وصرح فيه بالمقسم به[6]، وهذا كقوله تعالى **وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ**﴾[7]، وقوله تعالى:﴿ **وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا**﴾[8].

ب/ المضمر: هو ما لم يصرِّح فيه بفعل القَسَم، ولا بالمقسَم به، وإنّما تدلّ عليه اللام المؤكدة التي تدخل على جواب القَسَم[9]، **كقوله تعالى:**" ﴿ **لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ**﴾[10]، وزاد السيوطي في هذا القسْم

---

[1] ينظر:حسين نصار– القسم في القرآن الكريم–مكتبة الثقافة الدينية– بور سعيد– ط1–1421هـ–2001م– ص:133

[2] سورة الليل01

[3] سورة الانبياء57

[4] مناع القطان– مباحث في علوم القرآن–ص:300–301

[5] السيوطي– الإتقان في علوم القرآن– ج4– ص:55، ومناع القطان– مباحث في علوم القرآن– ص:303–304

[6] – ص:303

[7] سورة النجم 01

[8] سورة الشمس 01

[9] – مناع القطان– مباحث في علوم القرآن ص:304

[10] سورة آل عمران186

نوع ثاني: وهو ما دلّ عليه المعنى نَحْوَ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[1]، تقديره "وَاللَّهِ"[2].

6/فائدة وأغراض القَسَم العامة في القرآن الكريم:

إنّ الوقوف على أسرار القَسَم في القرآن الكريم، يزيد المؤمن تدبّرا في معاني القرآن الكريم، ومنها:

- تقوية الحجّة، فالمحاجة تحتاج إلى إقناع، والقَسَم أحد الأساليب المعهودة في كلام العرب.
- توكيد الخبر وتحقيقه[3]، وهذا بحسب مقام المخاطب وحال ذهنه.
- القَسَم في القرآن يزيل الشكوك ويحبط الشبهات ويردها[4]
- الدلالة على عِظَم المقسم، وهو الله تعالى، بمعرفة عظم المقسَم به.

والمقصد الذي يُلتمس من القَسَم في القرآن الكريم تتنوَّع دلالاته، وأغراضه البلاغية والبيانية، إذ القَسَم جزء من الإعجاز البياني في القرآن الكريم، لأنّ متعلّقه بلغة العرب، والتي أشرنا إليها في هذه المحاضرة بعض مباحثه وليست كلّها.

[1] سورة مريم 71

[2] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج4- ص:56.

[3] المصدر نفسه- ج4- ص:53

[4] مناع القطان- مباحث في علوم القرآن- ص:302

المحاضرة التاسعة: شكلُ المصحفِ وإعجامهُ ورسمهُ

القرآن الكريم هو حياة الأمّة الذي يحفظ بقاءها واستمرارها، وهو عصمتها الواقية، وحجّتها الباقية، ما إن تمسّكت به، فهما وتدبّرا وعملا وحُكْما، وقد عهد الله إلى أمّة محمد صلى وسلم عليه بحفظ هذا الذكر، فقال تعالى :﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1]، فنسبة التنزيل والحفظ له ، نسبة قدْر، ونسبة الحفظ له، نسبة عهد، ومن الحفظ تهيئة أسباب ذلك على مرّ العصور، فهل يعدّ شكل المصحف ورسمه من هذا الحفظ؟ وما هي المصلحة في ذلك؟.

1/ المصحف ودواعي إعجامه

كانت المصاحف عارية من النَّقط وخالية من الشكل عند السلف الأول، فقد أورد أبو عمر الداني بسنده قال:" حَدثنَا فَارس بن أَحْمد بن مُوسَى الْمُقْرِئ قَالَ ثَنَا أَحْمد بن مُحَمَّد قَالَ حَدثنَا أَحْمد بن مُحَمَّد بن عُثْمَان قَالَ حَدثنَا الْفضل بن شَاذان قَالَ حَدثنَا مُحَمَّد بن عِيسَى قَالَ حَدثنَا إِبْرَاهِيم بن مُوسَى قَالَ أخبرنَا الْوَلِيد بن مُسلم قَالَ حَدثنَا الأوزاعي قَالَ سَمِعت يحيى بن أبي كثير يَقُول كَانَ الْقُرْآن مُجَردا فِي الْمَصَاحِف فَأول مَا أَحْدَثُوا فِيهِ النقط على الْيَاء وَالتَّاء وَقَالُوا لَا بَأْس بِهِ هُوَ نور لَهُ ثمَّ أَحْدَثُوا فِيهَا نقطا عِنْد مُنْتَهى الْآي ثمَّ أَحْدَثُوا الفواتح والخواتم"[2].

وخُلوّ المصاحف من النَّقط والشكل يدلّ على سلامة اللّسان عندهم ، ثمّ إنّ الاحتياج إلى مثل هذا لم تكتمل دواعيه، والصحابة أحرص الناس على كتاب الله تعالى من غيرهم، وقد حكى أبو عمر الداني أنّ في خلو المصاحف وقتئذ كانت له مصلحة- الصحابة وأكابر التابعين- وَإِنَّمَا أخلى الصَّدْر مِنْهُم الْمَصَاحِف من ذَلِك وَمن الشكل من حَيْثُ أَرَادوا الدّلَالَة على بَقَاء السعَة فِي اللُّغَات

[1] سورة الحجر 09

[2] أبو عمر الداني عثمان بن سعيد- المحكم في نقط المصاحف- تح: عزة حسن- دار الفكر- دمشق- ط2-1407هـ- ص:02

والفسحة فِي الْقرَاءَات الَّتِي أذن الله تَعَالَى لِعِبَادِهِ فِي الْأَخْذ بهَا وَالْقِرَاءَة بِمَا شَاءَت مِنْهَا فَكَانَ الْأَمر على ذَلِك إِلَى أَن حدث فِي النَّاس مَا أوجب نقطها وشكلها [1].

2/شكل المصحف ونقطه بين الترخيص والكراهة[2]:

جرى في شكل ونقط المصحف ما جرى في جمعه ابتداء، فجمْعه قد لقي خلافا بين الصحابة، بل عارض ذلك خليفة رسول الله صلى وسلم عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لأنّه لم يهتد إلى وجه المصلحة إلّا بعد نظر دقيق ووعي عميق، وهذا واجب وهو المطلوب من وُلاة الأمر، ثم جمع أمره لرأي عمر رضي الله عنه، وهو الحال لشكل المصحف فقد نقل الداني عن ابن عمر كراهة ذلك ، قال:" عَن ابْن عمر أَنه كَانَ يكره نقط الْمَصَاحِف قَالَ عُثْمَان وَكَانَ قَتَادَة يكره ذَلِك ...وعَن أبي الزَّعْرَاء عَن عبد الله قَالَ جردوا الْقُرْآن وَلَا تخلطوه بِشَيْء...وعَن الضَّحَّاك قَالَ قَالَ عبد الله بن مَسْعُود جردوا الْقُرْآن.. وعَن شُعْبَة عَن أبي رَجَاء قَالَ سَأَلت مُحَمَّدًا عَن نقط الْمَصَاحِف فَقَالَ إِنِّي أَخَاف أَن يزِيدُوا فِي الْحُرُوف أَو ينقصوا"[3].

ونقل القرطبي أنّ أشهب قال: سمعت مالكا سئل عن العشور التي تكون في المصحف بِالْحُمْرَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَلْوَانِ، فَكَرِهَ ذَلِكَ وَقَالَ: تعشير المصحف بالحبر لا بأس به، وس ئل عَنِ الْمَصَاحِفِ يَكْتُبُ فِيهَا خَوَاتِمَ السُّوَرِ فِي كُلِّ سُورَةٍ مَا فِيهَا مِنْ آيَةٍ، قَالَ: إني أكره ذلك في أمهات المصاحف أن يكتب فيها شي أَوْ يُشَكَّلَ، فَأَمَّا مَا يَتَعَلَّمُ بِهِ الْغِلْمَانُ مِنَ الْمَصَاحِفِ فَلَا أَرَى بِذَلِكَ بَأْسًا[4]

وهذه الكراهة المأثورة عن بعض الصحابة وكبار التابعين قد تحمل على الورع الموجود عند السلف الأول من الصحابة وكبار التابعين، مخافة الزيادة والنقصان من القرآن في كل مرّة، فيلتبس الأمر على الخلف، وهذا متوقع، لأنّ الأمة تحفظ القرآن الكريم وميراث الأنبياء عن الصدر الأول، فهم أولى بالتحقيق في مثل ما يحدث لكتاب الله وسنة نبيّه، كما أنّ اللّسان كان نقيا على عهده، أو لم تخالطه عجمة، ولم يدخله كدر، فلم يحن الأمر بعد في شكله ونقطه.

---

[1] المصدر السابق- ص:03

[2] ينظر أبو عمر الداني عثمان بن سعيد- المحكم في نقط المصاحف –ص- 10-12

[3] المصدر نفسه-ص- 10-11

[4] القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج1- ص:63

ونُقل رأي يبيح نقط المصحف وشكله ، وهو مأثور عن كبار التابعين كذلك، كالأوزاعي، والحسن البصري[1]، وهو المنقول عن شيخ مالك ربيعة الرأي، أنّه لما سئل عن شكل المصحف قال:" فَقَالَ لَا بَأْس بِهِ قَالَ ابْن وهب وحَدثني اللَّيْث قَالَ لَا أرى بَأْسا أَن ينقط الْمُصحف بِالْعَرَبِيَّةِ "[2]، وقد نقل أشهب عن مالك رحمه الله أنّه" أَخْرَجَ إِلَيهم مُصْحَفًا لِجَدِّهِ، كَتَبَهُ إِذْ كَتَبَ عُثْمَانُ الْمَصَاحِفَ، فَرَأَيْنَا خَوَاتِمَهُ مِنْ حِبْرٍ عَلَى عَمَلِ السِّلْسِلَةِ فِي طُولِ السَّطْرِ، ورأيته معجوم الآي بالحبر. وقال قتادة: بدءوا فَنَقَطُوا ثُمَّ خَمَّسُوا ثُمَّ عَشَّرُوا"[3]

3/شكل المصحف ونقطه وتطوره عبر العصور

بعد اتساع رقعة الإسلام، ودخول الأعاجم، اختلط اللسان العربي بالعجمة، وهذا الأمر دعا وُلَاة الأمر من المسلمين أن يأخذوا على عاتقهم ما عهد إليهم أسلافهم من حفظ كتاب الله تعالى، ولما دعت الضرورة أن ينْقط المصحف ويشْكل، فُعل ذلك للمصلحة، واختلف في أوّل من فعل ذلك من السلف، فذكر ابن عطية الأندلسي والقرطبي أنّ عبد الملك بن مروان أمر به وعمله فتجرّد لذلك الحجّاج بواسط وجد فيه وزاد تحزيبه وأمر وهو والي العراق الحسن ويحيى بن يعمر بذلك، وألّف إثر ذلك بواسط كتاب في القراءات، جمع فيه ما روي من اختلاف الناس فيما وافق الخط، ومشى الناس على ذلك زمانا طويلا إلى أن ألّف ابن مجاهد كتابه في القراءات[4].

والمشهور عند الأكثرين أنّ أوّل من فعل ذلك أبو الأسود الدؤلي بأمر من زياد بن معاوية لما لحن ابنه فَقَالَ: يَا أَبَا الْأسود إِن هَذِه الْحَمْرَاء قد كثرت ، وأفسدت من ألسن الْعَرَب ؛ فَلَو وضعت شَيْئا يصلح بِهِ النَّاس كَلَامهم ،ويعربون بِهِ كتاب الله تَعَالَى ح فَأبى ذَلِك أَبُو الْأسود وَكره إِجَابَة زِيَاد إِلَى مَا سَأَلَ فَوجه زِيَاد رجلا فَقَالَ لَهُ اقعد فِي طَرِيق أبي الْأسود فَإِذا مرّ بك فاقرأ شَيْئا من الْقُرْآن وتعمّد

[1] أبو عمر الداني عثمان بن سعيد- المحكم في نقط المصاحف-ص:12

[2] المصدر نفسه- ص:13

[3] القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج1- ص:63

[4] ابن عطية الأندلسي- المحرر الوجيز- ج1- ص:50، والقرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج1- ص:63

اللّحن فِيهِ فَفعل ذَلِك فَلَمَّا مر بِهِ أَبُو الأسود رفع الرجل صَوته فَقَالَ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾[1] - بكسر لام الرسول-.

وقد وفَّقَ الباحث عبد العظيم الزرقاني بين الأقوال، فقال:" بأنّ أبا الأسود أوّلُ من نقط المصحف، ولكن بصفة فردية ، ثمّ تبعه ابن سيرين ، وأنَّ عبد الملك أوّلُ من نقط المصحف ، ولكن بصفة رسمية عامة ذاعت وشاعت بين الناس دفعا للبس والإشكال عنهم في قراءة القرآن"[2].

وهذا أمر عظيم، ووجه الكراهة ابتداء يحمل على ما حملنا عليه كراهة السلف قبله لشكل المصحف ونقطه، ولكنّ أبا الأسود اهتدى إلى وجه المصلحة لما استعظم الأمر، وعلم أنّها مسؤولية في أعناقهم، وأنّ الله سائلهم يوم القيامة، فقال:" عزَّ وَجه الله أَن يبرأ من رَسُوله ثمَّ رَجَعَ من فوره إِلَى زِيَاد فَقَالَ يَا هَذَا قد أَجَبْتُك إِلَى مَا سَأَلت وَرَأَيْت أَن أبدأ بإعراب الْقُرْآن إِلَيّ ثَلَاثِينَ رجلا فأحضرهم زِيَاد فَاخْتَارَ مِنْهُم أَبُو الْأسود عشرَة ، ثمَّ لم يزل يخْتَار مِنْهُم حَتَّى اخْتَار رجلا من عبد الْقَيْس فَقَالَ : خُذ الْمُصحف وصبغا يُخَالف لون المداد ، فَإِذا فتحت شفتي فانقط وَاحِدَة فَوق الْحَرْف ، وَإِذا ضممتهما فَاجْعَلْ النقطة إِلَى جَانب الْحَرْف ، وَإِذا كسرتهما فَاجْعَلْ النقطة فِي أَسْفَله فَإِن اتبعت شَيْئا من هَذِه الحركات غنّة فانقط نقطتين فابتدأ بالمصحف حَتَّى أَتَى على آخِره"[3].

❖رسم المصحف

حفظ القرآن الكريم حفظين، حفظ صدر وحفظ سطر، في عهد التنزيل، ثم جمع أبو بكر القرآن في مصحف واحد[4] ، ثم أعاد عثمان ابن عفان كتابة القرآن الكريم مرّة ثانية للمصلحة العامة، وهي حفظ كلمة الأمّة، وجمعها على قلب مصحف واحد؛ لئلا يدبّ إليهم داء الأمم من قبلهم من التفرق والتشرذم، وهذا الرسم هو الموجود عليه المصاحف اليوم، هو المسمى

[1] أبو عمر الداني – المحكم في نقط المصاحف–ص:03

[2] عبد العظيم الزرقاني– مناهل العرفان في علوم القرآن– ج1– ص:407

أبو عمر الداني – المحكم في نقط المصاحف–ص:04، ومحمد سالم بن سعيد العوفي– تطور كتابة المصحف الشريف وطباعته– ص:05

[4] ينظر: شعبان محمد إسماعيل– رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة– دار السلام – ط2– دت– ص:11

بالرسم العثماني، فهل هذا الرسم توقيفي أم اصطلاحي؟ وهل يجوز أن نغير فيه اليوم زيادة ونقصا بعد هذا التطور أم لا؟

➢ **الرسم**: أصله الأثَر. أي: أثر الكتابة في اللفظ[1].

ومعناه: تصوير الكلمة بحروف هجائها، بتقدير الابتداء بها والوقف عليها[2].

1/ القاعدة العربية في الكتابة:

والكتابة في الأصل أنّها تعتمد على منطوق حروف الكلمة، دون زيادة أو نقصان، أو إبدال أو حذف[3]، ولكن الإشكال الذي وُجد في المصحف من طريق الرسم أنّ بعض الكلمات والحروف وجدت مخالفة لهذه القاعدة، قال السيوطي:" القَاعِدَةُ الْعَرَبِيَّةُ أَنَّ اللَّفْظَ يُكْتَبُ بِحُرُوفٍ هجائية مع مراعاة الابتداء والوقوف عليه وقد مهد النحاة له أُصُولًا وَقَوَاعِدَ وَقَدْ خَالَفَهَا فِي بَعْضِ الْحُرُوفِ خَطُّ الْمُصْحَفِ الْإِمَامِ"[4].

وقد يُسْتشكل هذا على بعض الناس، وهو كيف للصحابة أن يخالفوا قواعد الكتابة، ولكنّ المعلوم أنّ صحابة رسول الله صلى وسلم عليه، كانوا أورع الناس في دينهم، وأكثرهم حرصا على اللسان العربي، ومن هنا نلتمس أنّ هنالك حكمة وسرّا في الكتابة، ولذا الرسم أصبح فيما بعد علما من العلوم التي تدرس مع القرآن الكريم ، وقد أفرده بالتأليف بعض العلماء، "كأبي عمر الداني إذ ألّف فيه كتابه المسمى "المقنع". ومنهم العلامة أبو عباس المراكشي إذ ألّف كتابا أسماه: "عنوان الدليل في رسوم خط التنزيل". ومنهم العلامة الشيخ محمد بن أحمد الشهير بالمتولي إذ نظم أرجوزة سماها" اللؤلؤ المنظوم في ذكر جملة من المرسوم"، ثم جاء العلامة المرحوم الشيخ محمد خلف الحسيني شيخ المقارىء بالديار المصرية فشرح تلك المنظومة ، وذيّل الشرح بكتاب سماه "مرشد الحيران إلى معرفة ما يجب اتّباعه في رسم القرآن""[5].

---

[1] المرجع السابق- ص:37

[2] شعبان محمد إسماعيل- رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة - ص:37

[3] عبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان في علوم القرآن- ج1- ص:369، وشعبان محمد إسماعيل- رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة-ص:37

[4] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج4- ص:168

[5] عبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان في علوم القرآن- ج1- ص:369

3/ قواعد رسم المصحف:

وللرسم قواعد قعّدها من ألفوا في رسم المصحف، استنبطوها من الرسم الذي وُجد عليه مصحف الإمام، وحصروها في ستّة قواعد، وهي:" الحذف، والزيادة، والهمز، والبدل، والفصل والوصل، وما فيه قراءتان متواترتان وكتب على إحداهما"[1]. وسنوجز القول في الأمثلة.

✓ **قاعدة الحذف:**

وتحذف الألف من " ياء النداء"←← نحو: **"يأيها النّاس"، "يا آدم"، "يارب"**←←**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ**.

وتحذف من "ها" التنبيه نحو {هَا أَنْتُمْ}←←**هَـٰٓأَنتُمْ** ، ومن كلمة "نا"، إذا وليها ضمير نحو : {أَنْجَيْنَاكُمْ}←←**أَنجَيْنَـٰكُم** ، ومن لفظ الجلالة {اللَّهِ }←←**ٱللَّهَ** ، ومن كلمة {إِلَهَ}←← **إِلَـٰهُهَا** ، ومن لفظي {الرَّحْمَنِ وَسُبْحَانَ} ←← **ٱلرَّحْمَـٰنُ، سُبْحَـٰنَ** [2]، وغير هذه الأمثلة، وقد تخالف هذه القاعدة فليست على إطلاقها.

✓ **قاعدة الزيادة.**

خلاصتها أنّ الألف تزاد بعد الواو في آخر كلّ اسم مجموع ، أو في حكم المجموع نحو: ﴿أولوا الألباب﴾←← **أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ** ، وبعد الهمزة المرسومة "واوا" نحو: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ﴾ فإنّها ترسم هكذا : **تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ**. وفي كلمات مائة ومائتين ، والظنون، والرسول، والسبيل في قوله تعالى: ﴿ **وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا** ﴾[3] . ﴿ **وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا** ﴾[4] . ﴿ **فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا** ﴾[5]، وتزاد "الياء" في هذه الكلمات: { آنَاءَ, مِنْ تِلْقَاءِ, بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ, بِأَيْدٍ} [مِن تِلْقَآيِ - ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ- بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ] من

[1] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج4- ص:169

[2] المصدر نفسه-ج4-169، وعبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان في علوم القرآن- ج1- ص:370

[3] سورة الأحزاب10

[4] سورة الأحزاب66

[5] سورة الأحزاب67

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[1] .وتزاد الواو في نحو {أُولُوا, أُولَئِكَ, أُولاءِ} [**أُوْلَٰٓئِكَ- أُوْلُواْ - أُوْلَآءِ-**][2] .

✓ **قاعدة الهمز**

خلاصتها أنّ "الهمزة" إذا كانت ساكنة تكتب بحرف حركة ما قبلها نحو {ائْذَنْ, اؤْتُمِنَ }←[**ٱئۡذَن- ٱؤۡتُمِنَ**]، إلّا ما استثني. أمّا الهمزة المتحركة ، فإن كانت أوّل الكلمة واتّصل بها حرف زائد ، كتبت بالألف مطلقا سواء أكانت مفتوحة أم مكسورة نحو { أُولُوا, إِذَا, فَبِأَيِّ}←[**أُوْلُواْ- فَبِأَيِّ- إِذَا**] إلّا ما استثني[3]. وغير هذه القواعد في هذا القِسم.

✓ **قاعدة البدل:**

أنّ "الألف" تكتب "واوا"، للتفخيم في مثل "الصلاة، والزكاة، والحياة "إلّا ما استثني [4][**ٱلصَّلَوٰةَ- ٱلزَّكَوٰةَ - ٱلۡحَيَوٰةِ**]، وغير هذه القواعد في هذا القسم.

✓ **قاعدة الوصل والفصل:**

خلاصتها أنّ كلمة "أَنْ" بفتح الهمزة توصل بكلمة "لا" إذا وقعت بعدها. ويستثنى من ذلك عشرة مواضع. منها: ﴿ **أَن لَّآ يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ**﴾[5][6].

---

[1] سورة الذاريات47

[2] عبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان في علوم القرآن- ج1- ص:370

[3] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج4- ص:،169، وعبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان في علوم القرآن- ج1- ص:371

[4] عبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان في علوم القرآن- ج1- ص:371

[5] سورة الأعراف169

[6] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج4- ص:،178، وعبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان في علوم القرآن- ج1- ص:372

✓ **قاعدة ما فيه قراءتان:**

خلاصتها أنّ الكلمة إذا قرئت على وجهين تكتب برسم أحدهما كما رسمت الكلمات الآتية بلا ألف في المصحف وهي: {**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ, يُخَادِعُونَ اللَّهَ, وَوَاعَدْنَا مُوسَى, تُفَادُوهُمْ**}← [**مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ- يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ- وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ- تُفَـٰدُوهُمْ**]،ونحوها، وكلّها مقروءة بإثبات الألف وحذفها[1].

واختُلف في رسم المصحف هل هو توقيفي أم اصطلاحي؟، ويظهر أثر هذا الاختلاف اليوم وما يحدث من تطوّر للكتابة، فهل نستطيع أن نخالف الرسم العثماني تحقيقا لمصلحة اقتضت ذلك أم لا؟

وحاصل القول في هذا الخلاف أنّه انقسمت الأقوال إلى ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول:

قالوا :أنّ رسم المصحف توقيفي لا يجوز تغييره، وتحرم مخالفته، شأنه في ذلك شأن ترتيب سور القرآن وآياته، لا يجوز لنا أن نقدّم أو نؤخر منها شيئا.وهو مذهب جمهور الأمّة سلَفا وخلَفا، ونقَل كثير من العلماء الإجماع على ذلك[2].

ونقل السيوطي هذا عن ابن فارس:" إِنَّ الْخَطَّ تَوْقِيفِيٌّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[4]، وَإِنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ دَاخِلَةٌ فِي الْأَسْمَاءِ الَّتِي عَلَّمَ اللَّهُ آدَمَ"[5]. وهو ما نقله أَشْهَبُ عن مالك قال: سُئِلَ مَالِكٌ: هَلْ يُكْتَبُ الْمُصْحَفُ عَلَى مَا أَحْدَثَهُ النَّاسُ مِنَ الْهِجَاءِ؟ فَقَالَ: لَا إِلَّا عَلَى الْكَتْبَةِ الْأُولَى رَوَاهُ الدَّانِيُّ فِي الْمُقْنِعِ، ثُمَّ قَالَ وَلَا مُخَالِفَ لَهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ[6].

---

[1] عبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان في علوم القرآن- ج1- ص:372

[2] شعبان محمد إسماعيل- رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة-ص:63

[3] سورة العلق4-5

[4] سورة القلم 01

[5] السيوطي- الإتقان في علوم القرآن-ج4- ص:168

[6] المصدر نفسه- ج4- ص:168

المذهب الثاني:

قالوا:أّن رسم المصحف ليس توقيفيا، وأنّه لا مانع من تغيير هذا الرسم حسبما تقتضيه قواعد الرسم الحديثة[1].

وممّن ناصر هذه المذهب: أبو بكر الباقلاني قال:" مضمونهِ ولحنِه أنّ رسمَ القرآنِ وخطّه لا يجوزُ إلّا على وجهٍ مخصوصٍ وحدٍّ محدود، ولا يجوزُ تجاوُزه إلى غيره، ولا في نص السُّنَّةِ أيضا ما يُوجبُ ذلكَ ويدلُّ عليه، ولا هُو مما أجمعت عليهِ الأمة بل السُّنَّةُ قد دلّت على جوازِ كَتبهِ بأيّ رسمٍ سَهلٍ وسَنحَ للكاتب،"[2] وابن خلدون، وكثير من العلماء المعاصرين[3].

المذهب الثالث: جواز كتابته بالرسم الحديث لعامّة النّاس حسب قواعد الخط في أي عصر، مع الإبقاء على الرسم العثماني والمحافظة عليه للعلماء والخاصة، كأثر من الآثار النفيسة التي حافظت عليها الأجيال المتعاقبة[4].

وممن ناصر هذا المذهب : الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وبدر الدين الزركشي[5].

ما تشهده الأمة من تطور في الكتابة والخطوط والطباعة، فقد تكفلت بعض المجامع الفقهية[6] بمراعاة هذه المستجدات، وأصدرت فتاوى تحفظ بها للأمة ثوابتها، وترعى المتغيرات التي تحدث لها، ومن شاء فليراجع ذلك في مظانّه. كما يجب على طلاب الدراسات القرآنية أن يطلعوا على

[1] شعبان محمد إسماعيل- رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة-ص:63

[2] الباقلاني أبو بكر- الانتصار للقرآن- تح: محمد عصام القضاة- دار الفتح عمان- دار ابن حزم- بيروت- ط1-1422هـ-2001م-ج2- ص:548

[3] شعبان محمد إسماعيل- رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة-ص:63

[4] المرجع نفسه-ص:63

[5] عبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان في علوم القرآن- ج1- ص:372،و شعبان محمد إسماعيل- رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة-ص:63

[6] ذكر هذه القرارت للمجمع الفقهي الباحث: شعبان محمد إسماعيل- رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة-ص:81 وما بعدها.

الشبهات التي أثارها المستشرقون حول الرسم العثماني، وقد ردّها الباحث عبد العظيم الزرقاني [1]، ليزداد بصيرة حول موضوع الرسم العثماني، ويحصّن نفسه عمّا يعرض للأمة من شبهات .

[1] ينظر: عبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان في علوم القرآن- ج1- ص:386

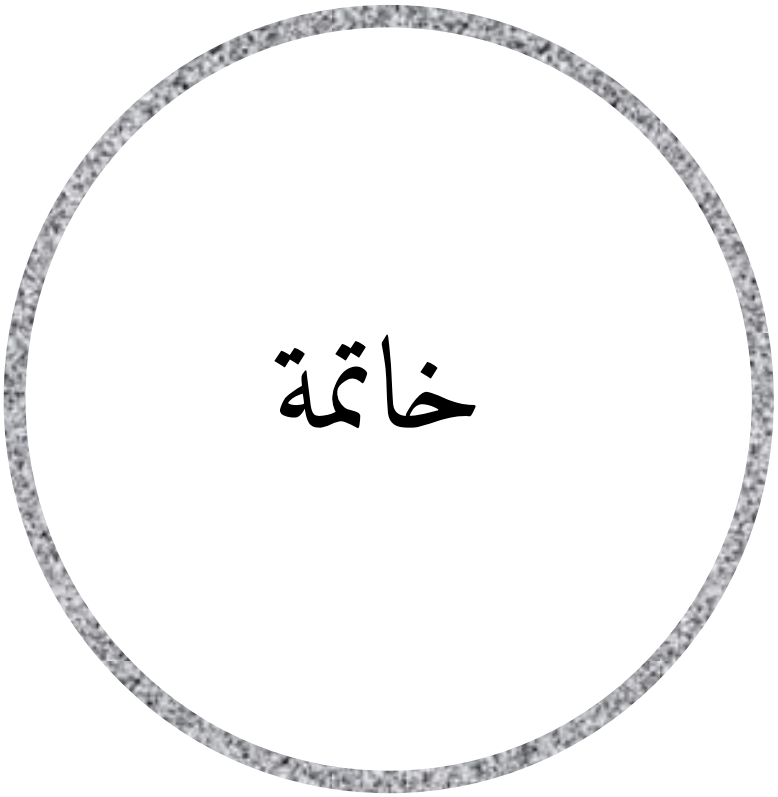

خاتمة

خاتمة:

بعد عرضنا لمحاضرات مقياس علوم القرآن، نحاول أن نذكر جملة من النتائج تكون عامة لكلّ محاضرة، تبرز مدى تحقيق الأهداف التي أردنا الوصول إليها :

- ✓ ضرورة تمحيص الناقل من كتب التفسير فيما يخص موضوع الإسرائيليات، وذلك بالتفريق بين أقسامها.
- ✓ التفريق بين المحكم والمتشابه العام والخاص، وموقف المسلم من وجود المتشابه في القرآن الكريم.
- ✓ معرفة ظاهرة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، وربطها بجانب الإعجاز اللغوي من خلال الوقوف على التفسير الموضوعي للمفردة القرآنية.
- ✓ كثرة الوضع في التفسير سبب من أسباب ضعفه، ولذا لا بدّ من معرفة جهود العلماء في كشف الوضع.
- ✓ منهج القرآن الكريم في جدال المخالفين والخصوم منهج فريد من خلال الاستدلال على مختلف المواضيع، استمدّ ذلك من الخصائص المتنوعة له للتأثير والإقناع.
- ✓ وجود القصص والأمثال القرآنية في القرآن الكريم، يجعل المتدبر يقف على مقاصدهما للاعتبار والاستبصار.
- ✓ القسم في القرآن الكريم له أغراضه، ولا يتمّ إلّا بمعرفة سنن العرب في كلامها، لندرك وجه الإعجاز فيه.

هذا ما أردت الوصول إليه من أهداف تبلغ بالطالب إلى التحصيل العلمي والتحصين الفكري ، ونسأل الله التوفيق في القصود لبلوغ المقصود، وأعتذر انتهاء لما وقع في هذا العمل لما علق به من زلل، وأوصي بما أوصى به خليل المالكي-رحمه الله-إذ قال:" ثُمَّ أَعْتَذِرُ لِذَوِي الْأَلْبَابِ مِنْ التَّقْصِيرِ الْوَاقِعِ

في هذا الكتاب ، وأسأل بلسان التضرع والخشوع وخطاب التذلّل وَالْخُضُوعِ أَنْ يُنْظَرَ بِعَيْنِ الرِّضَا وَالصَّوَابِ؛ فَمَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ كَمَّلُوهُ وَمِنْ خَطَأٍ أَصْلَحُوهُ، فَقَلَّمَا يَخْلُصُ مُصَنِّفٌ مِنْ الْهَفَوَاتِ أَوْ يَنْجُو مؤلف من العثرات". **خليل بن إسحاق المالكي–مختصر العلامة خليل–ص: 12**

فهرس الأحاديث

فهرس الأحاديث

ر	الراوي	نص الحديث	التخريج	ص
01	أبو هريرة τ	لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ	البخاري	08
02	عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو τ	«بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»	الترمذي	08
03	τ	:«اللهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ	المسند لأحمد	39
04	أبو موسى الأشعري	الِاسْتِئْذَانُ ثَلاَثٌ. فَإِنْ أَذِنَ لَكَ فَادْخُلْ وَإِلاَّ فَارْجِعْ	الموطأ	40
05	أبو هريرة	" أَعْرِبُوا الْقُرْآنَ، وَاتَّبِعُوا غَرَائِبَهُ وَغَرَائِبُهُ فَرَائِضُهُ وَحُدُودُهُ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجُهٍ: حَلَالٍ وَحَرَامٍ وَمُحْكَمٍ وَمُتَشَابِهٍ وَأَمْثَالٍ، فَاعْمَلُوا بِالْحَلَالِ وَاجْتَنِبُوا الْحَرَامَ وَاتَّبِعُوا الْمُحْكَمَ وَآمِنُوا بِالْمُتَشَابِهِ وَاعْتَبِرُوا بِالْأَمْثَالِ.	البهقي- شعب الإيمان-	78

❖ فهرس المصادر والمراجع

❖ فهرس المحتويات

فهرس المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

I. كتب الحديث وشروحه

1/ مالك بن أنس- الموطأ- تح: محمد مصطفى الأعظمي- مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان- أبو ظبي- الإمارات-ط1-1425-2004م

2/أحمد بن حنبل- المسند- تح: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون- إشراف: عبد الله عبد المحسن التركي-مؤسسة الرسالة-ط1-4 21ه-2001م-

3/البخاري محمد ابن إسماعيل- صحيح البخاري- تح: محمد زهير بن ناصر الناصر- دار طوق النجاة- ط1-1422ه

4/البيهقي أحمد بن الحسين- شعب الإيمان- حققه وراجع نصوصه: عبد العلي عبد الحميد حامد- أشرف على تحقيقه: مختار أحمد الندوي صاحب الدار السلفية ببومباي- الهند- مكتبة الرشد للنشر والتوزيع- الرياض-ط1-1423ه-2003م

5/ابن كثير أبو الفداء- اختصار علوم الحديث- تح: أحمد محمد شاكر- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط2- دت

6/ابن حجر العسقلاني- فتح الباري شرح صحيح البخاري- رقم كتبه وأبوابه: محمد فؤاد عبد الباقي- قام بإخراجه وصححه: محب الدين الخطيب- عليه تعليقات ابن باز- دار المعرفة – بيروت- 1379ه.

7/ ابن حجر العسقلاني- تهذيب التهذيب-مطبعة دائرة المعارف النظامية-الهند- ط1- 1326ه.

8/علي الملا الهروي- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح- دار الفكر- بيروت- لبنان- ط1-1422ه-2002م.

كتب التفسير وأصوله

1/ابن أبي حاتم الرازي- تفسير القرآن العظيم- تح: أسعد محمد الطيب- مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية- ط3-1419ه-

2/الجصّاص أحمد بن علي- أحكام القرآن- تح: عبد السلام محمد علي شاهين-دار الكتب العلمية- بيروت-ط1-1415ه-1994م.

3/الثعلبي أبو إسحاق- الكشف والبيان عن تفسير القرآن- تح: الإمام أبي محمد بن عاشور- راجعه ودقّقه: نظير الساعدي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان- ط1-1422ه-2002م

4/الراغب الأصفهاني- تفسير الراغب الأصفهاني-تح : عادل بن علي الشدّي- دار الوطن- الرياض-ط1-1424ه2003م

5/الزمخشري أبو القاسم- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل- دار الكتاب العربي- بيروت- ط3-1407ه

6/ابن عطية عبد الحقّ- المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- تح: عبد السلام عبد الشافي محمد- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1-1422ه

7/مجمد جمال الدين الجوزي- زاد المسير في علم التفسير- تح: عبد الرزاق المهدي- دار الكتاب العربي- بيروت-ط1-1422ه.

8/الفخر الرزي- مفاتيح الغيب- التفسير الكبير- دار إحياء التراث العربي- بيروت-ط3-1420ه.

9/القرطبي أبو عبد الله- الجامع لأحكام القرآن- تفسير القرطبي- تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش- دار الكتب المصرية- القاهرة-ط2-1384ه-1964م.

10/البيضاوي ناصر الدين- أنوار التنزيل وأسرار التأويل- تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط1-1418ه.

11/ابن جزي الغرناطي- التسهيل لعلوم التنزيل- تح: عبد الله الخالدي- شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت- ط1-1416ه.

12/ أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط في التفسير- تح: صدقي محمد جميل-دار الفكر- بيروت-ط-1420ه

13/الثعالبي عبد الرجمن- الجواهر الحسان في تفسير القرآن- تح: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود-دار إحياء التراث العربي- بيروت-ط1-1418ه.

14/الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير-الدار التونسية للنشر- تونس- 1984م.

15/محمد متولي الشعرواي- تفسير الشعراوي- الخواطر- مطابع أخبار اليوم-دط- دت

أصول التفسير

1/ عبد الحليم ابن تيمية- مقدّمة في أصول التفسير- دار مكتبة الحياة- بيروت- لبنان-ط-1490ه-1980م.

2/محمد حسين الذهبي- التفسير والمفسرون-مكتبة وهبة- القاهرة-دط-دت.

3/أبو شهبة- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير- مكتبة السنّة- ط4- دت.

4/ابن القاسم عبد الرحمن النّجدي- حاشية مقدّمة التفسير- دط- ط2-1410ه-1990م.

كتب اللغة

1/الجوهري أبو نصر- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية- تح: أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملايين- بيروت-ط4-1407-1987م.

2/أبو بكر الحنفي الرازي- مختار الصحاح- تح: يوسف الشيخ محمد- المكتبة العصرية- الدار النموذجية- بيروت- صيدا- ط5-1420ه-1999م.

3/ابن منظور الأنصاري- لسان العرب- دار صادر- بيروت- لبنان-ط3- 1414 ه

4/ الفيومي أحمد – المصباح المنير في غريب الشرح الكبير- المكتبة العلمية- بيروت- دت- .

كتب الفقه والأصول

1/الكاساني علاء الدين الحنفي- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع- دار الكتب العلمية- ط1-1406ه-1986م.

2/الشاطبي إبراهيم بن موسى –الموافقات- تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان- دار ابن عفان- ط1-1417ه-1997م.

كتب علوم القرآن

1/يحي بن سلام الإفريقي- التصاريف لتفسير القرآن ممّا اشتبهت أسماؤه وتصرّفت معانيه- تح: هند شلبي- الشركة التونسية للتوزيع-1979م

2/الباقلاني أبو بكر- إعجاز القرآن- تح: السيد أحمد صقر- دار المعارف- مصر- ط5-1997م

3/الباقلاني أبو بكر- الإنتصار للقرآن- تح: محمد العصام القضاة- دار الفتح- عمّان- دار ابن حزم – بيروت- ط1-1422ه-2001م

4/أبو عمر الداني عثمان بن سعيد- المحكم في نقط المصاحف- تح: عزة حسن- دار الفكر- دمشق- ط2-1407ه

5/جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنّظائر- تح: محمد عبد الكريم كاظم الراضي- مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان-ط1-1404ه-1984م.

6/الراغب الأصفهاني- المفردات في غريب القرآن- تح: صفوان عدنان الداودي- دار القلم-الدار الشامية- دمشق- بيروت- ط1-1412ه.

7/أبو حامد الغزالي- جواهر القرآن- تح: محمد رشيد رضا القباني- دار إحياء العلوم- بيروت-ط2-1406-1986م-

8/أبو الفرج ناصر الدين بن الحنبلي – استخراج الجدال من القرآن الكريم- تح: زاهر بن عواض الألمعي- مطابع الفرزدق التجارية- ط2- 1401ه.

9/نجم الدين الطوفي – علم الجذل في علم الجدل- تح: قولفهارت هاينريشس- النشرات الإسلامية32- بطلب دار النشر فرانز شتاينر بقيسبادن-1408-1987م- طبع بمساعدة مؤسسة الأبحاث العلمية الألمانية بإشراف المعهد الألماني للأبحاث الشرقية- بيروت-دط-دت.

10/ابن القيم الجوزية- الأمثال في القرآن- تح: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد- مكتبة الصحابة- طنطا- مصر-ط1-1406ه-1986م

11/الزركشي بدر الدين- البرهان في علوم القرآن- تح: محمد أبو الفضل إبراهيم- دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركائه- ثم صورته دار المعرفة – لبنان-ط1-1376ه-1957م.

12/- الإتقان في علوم القرآن-تح: محمد أبو الفضل إبراهيم- الهيئة المصرية العامة للكتاب-1394ه-1974م

13/مصطفى صادق الرافعي- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية- دار الكتاب العربي- بيروت- ط8-1425ه-2005م.

14/فهد الرومي- دراسات في علوم القرآن الكريم- ط12- 1424ه-2003م.

15/عبد العال سالم مكرم- المشترك اللفظي في الحقل القرآني- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط2-1417ه.

16/مناهج جامعة المدينة العالمية- الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم- جامعة المدينة العالمية- دط-دت-.

17/مناهج جامعة المدينة العالمية- الدخيل في التفسير- ماجستير- جامعة المدينة العالمية- دط-دت.

18/عثمان علي حسن- منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد- دار إشبيليا- السعودية- ط1-1420ه-1999م

19/زاهر عواض الألمعي- مناهج الجدل في القرآن الكريم- ط1-1399-وط2-1400، وط3-1404ه.

20/عثمان علي حسن- الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد-دار إشبيليا-الرياض- السعودية-ط1-1420-1999م-

21/ عبد الكريم الخطيب- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه- دار المعرفة- بيروت- لبنان- ط2-1395ه-1975م.

22/عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع- الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله- عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية- ط 1- 1424ه-2003م.

23/محمد إسماعيل- رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة- دار السلام - ط2- دت-.

24/حسين نصار- القسم في القرآن الكريم-مكتبة الثقافة الدينية- بور سعيد- ط 1- 1421ه-2001م.

كتب أخرى

1/ابن عساكر أبو القاسم- تاريخ دمشق- تح: عمر بن غرامة العمروي- دار الفكر للطباعة والنّشر- 1415ه-1995م.

2/عبد القاهر البغدادي- الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية- دار الآفاق الجديدة- بيروت- ط2- 1977م.

3/محمد البنا الساعاتي- نظرات في كتاب الله- دار التوزيع والنّشر الإسلامية-القاهرة- 1423ه-2002م.

الرسائل العلمية:

1/عبد الله علي عبد الله الهتاري- القسم في القرآن الكريم تركيبا ودلالة- رسالة ماجستير- جامعة اليرموك- 1999م..

فهرس المحتويات

الموضـــــــــــوع.....الصفحة

❖ مقدّمـــــــــة. 3-1

❖ خريطة مفاهيمية 04

*****المحاضرة الأولى: الإسرائيليات في التفسير***** 06.

1 /مصادر التفسير..... 06

2/قاعدة ابن تيمية في التفسير 07

3/ أقسام الإسرائيليات في التفسير 08

أ/ من مصادر التفسير- النقل عن أهل الكتاب -.....09

ب/ أقسام الإسرائيليات 11

**** المحاضرة الثانية: المحكم والمتشابه في القرآن الكريم******* 12

1/ الألفاظ والمعاني بين الخفاء والوضوح 12

أ/المحكم والمتشابه في اللغة 13

2/ وجود المحكم والمتشابه في القرآن الكريم 14

أ/ تحرير محل النزاع 14

ب/الإحكام والتشابه العام 15

3/ أراء العلماء في المحكم والمتشابه الخاص 18

4/ موقف المسلم من المحكم والمتشابه في القرآن الكريم..... 19

5/ ثمرة معرفة المتشابه 20

****المحاضرة الثالثة:الوجـــوه والنظائر في القـــــــرآن الكريم**** 22

1/ المقصود بالوجوه والنظائر 22

2/ظاهرة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم 22

أ/أسباب اشتمال القرآن الكريم على الوجوه والنظائر..... 23

ب/ أهمية الوجوه والنظائر للمفسر 23

ج/ العلاقة بين المعاني اللغوية والوجوه والنظائر..... 24

3/دواعي التأليف في الوجوه والنظائر..... 24

4/المصنفات في الوجوه والنظائر 26

5/أمثلة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم 27

**** المحاضرة الرابعة: الـــــــــــوضع في التفسير**** 34

1/التفسير بين الأصيل والدخيل 34

2/ التفسير بين القوة والضعف 35

3/ أثر الوضع في التفسير 40

4/ جهود العلماء في الكشف عن الوضع 41

****المحاضرة الخامسة: الجدل في القرآن الكريم*** 42

1/ الجدل في القرآن 42

أ/ المدلول اللغوي والاصطلاحي للجدل 43

2/التفسير الموضوعي لكلمة الجدل في القرآن الكريم.....44

3/ في أول من سن الجدل 45

4/الاستدلال القرآني وعلاقته بالجدل 46

أ/من مسالك القرآن في الاستدلال جدالا للخصوم 48

1- السبر والتقسيم 48

2- الاستفهام التقريري 49

3- مجاراة الخصم 50

4- قياس الخلف 50

5- الانتقال 51

5خصائص الجدل القرآني 51

أ / قوة الحجة ووضوح المحجة 51

ب- التنوع والتدرج في المجادلة 52

ج/.التركيز على العقل في الجدال 52

د/سمو ثمرة الجدل مقام الجدل القرآني 52

6/ الاستدلال القرآني على المعاد الجسماني 53

أ/ التذكير بالإخراج من العدم إلى الوجود 53

ب/قياس الإعادة على خلق السموات والارض بطريق أولى 54

ج/ قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها 54

د/ قياس الإعادة على إخراج الحي من الميت والعكس 55

****المحاضرة السادسة: القصة في القرآن الكريم.***** 58

1/ تعريف القصص 58

2/ اعتبار القصص من مقاصد القرآن الكريم 59

3/ وجه الإعجاز في القصص القرآني 60

أ/القصة في الحياة العربية 62

ب/ القصة بين الواقع والخيال 63

ج- الأسلوب والعرض 63

د/ سمو ثمرة القصص القرآني 64

4- من مقاصد القصص القرآني 65

أ/ التعريف بالحق وأهله وبالباطل وحزبه 65

ب- النظر في السنن الكونية للاعتبار والاستبصار 66

ج - تقوية جانب الأمة الإسلامية لتكون مرهوبة غير مرغوبة 67
5- تكرار القصص القرآني 68
أ/ اكتمال غرض القصة بتعدد المناسبة 69
ب/ رسوخها في الأذهان بتكريرها 69
ج/ تثبيت فؤاد النبي صلى وسلم عليه والمومنين 70
6/ مقاصد قصة يوسف من المطلع إلى المقطع 70
أ/ مقصد الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل 71
ب/مقصد الصبر على الابتلاء سبب للتمكين في الأرض.....71
ج/مقصد أخذ العبرة من القصة من نواح مختلفة 72
د/مقصد تسلية النبي صلى وسلم عليه 73
****المحاضرة السابعة: الأمثال في القرآن الكريم*** 75
1/تعريف الأمثال 75
2/ ضرب الأمثال 76
3/ ضرورة معرفة علم الأمثال للمفسر 77
4/ أقسام الأمثال الواقعة في القرآن الكريم 78
5/ مقاصد ضرب الأمثال القرآنية 78
أ/مقصد للتفكر والتدبر 81

ب/تقريب صورة المثل المضروب إلى العقول 82

ج/ الدلالة على قيمة المثل المضروب به 82

د/ تبكيت الخصوم.....83

*****المحاضرة الثامنة:القسَم في القـــــــــرآن الكريم**** 84

1/ تعريف القسم. 84

2/ وجود القسَم في القرآن الكريم 85

3/ قسَم الله في القرآن الكريم 86

4/ أركان القسَم وصيغته 89

5/ أنواع القسَم 89

6/ فائدة وأغراض القسَم في القرآن الكريم 90

المحاضرة التاسعة: شكل المصحف وإعجامه ورسمه* 91

1/المـــــصحف ودواعي إعجامه 91

2/شكل المصحف ونقطه بين الترخيص والكراهة 92

3/ شكل المصحف ونقطه وتطوره عبر العصور 93

❖ رسم المصحـــــــــــف 94

1/ القاعدة العربية في الكتابة 95

2/ قواعد رسم المصحف 96

❖ خاتمة 101

❖ فهرس الأحاديث 104

❖ فهرس المصادر والمراجع.....106

❖ فهرس المحتويات.....115.

Ministry of Education and Scientific **Research**

Ammar Theliji University of Laghouat

Faculty of Humanities,Islamic Sciences and Civilization

Department of Islamic Sciences

Branch: The Arabic Language ***and Islamic Civilization***

Preparation Of Dr: AICHOUBA MOHAMED

Undergraduate year:2021-2022